عدنان السبيعي

الصحة النفسية
للأسرة والمجتمع
٣

الصحّة النفسيّة لأطفال الحضانة والروضة

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان
دار الفكر
دمشق - سورية

١٥٥١٤
٤٣ ص

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحة النفسية

لأطفال الحضانة والروضة

الصحة النفسية لأطفال الحضانة والروضة/ عدنان السبيعي . -
دمشق : دار الفكر، ١٩٩٧ . - ١٦١ ص؛ ٢٠سم .
١- ٤, ١٥٥ س ب ي ص ٢- العنوان ٣- السبيعي
مكتبة الأسد
ع: ١٩٩٧/٨/١١٤٥

الصحة النفسية للأسرة والمجتمع

٣

الصّحة النّفسيّة لأطفال الحضانة والروضة

عدنان السبيعي

إعـــادة
١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م

ط١/١٤١٧هـ = ١٩٩٧م

الرقم الاصطلاحي: ٠١٣، ١١٢٦
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-388-7
الرقم الموضوعي: ٦١٠
الموضوع: الطب
العنوان: الصحة النفسية لأطفال الحضانة والروضة
التأليف: عدنان السبيعي
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١٦٤ ص
قياس الصفحة: ١٢×١٧ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ﴾

[آل عمران ٣/ ٣٧]

المحتوى

الموضوع	الصفحة
التمهيد	٩
الطفولة التي نحبها	١١
أحاديث الأفراح	١٣
أحاديث الحب	١٧
أحاديث النقاء الخلقي	٢٤
أحاديث ومناجاة	٢٥
تعريف الطفولة	٣١
طريقة التغذية	٣٤
المميزات العقلية لأطفال المرحلة	٤٠
المميزات الحركية والعاطفية لأطفال المرحلة	٤٩
علم نفس الطفولة	٦٥
أهمية علم نفس الطفل	٦٧

الموضوع	الصفحة
النواحي العملية لدراسة نفسية الأطفال	٧٢
الانحرافات النفسية	٧٤
الصحة النفسية والتعليم	٨٣
من أجل التوجيه المدرسي واللغوي والمهني	٨٦
دراسة حول الصحة النفسية للأمهات العاملات	٩٢
وظائف الصحة النفسية	١٠٧
الصحة النفسية والتغذية	١٠٩
النوم عند الأطفال	١٢٧
الصحة النفسية واللعب	١٤٨

تمهيد

كثيرة هي الكتب التي تتناول موضوع الطفل .

وما أكثر ما كُتب فيه .

لكنّ هذا الكتيب قد وُضع مع الحلقات الأخرى من أجل غرض خاص دقيق

- كي نحسن النظر إلى الطفولة .
- ونحبها بحق .
- ونرتقي بالتعامل معها .

ومن أجل عالم جديد

- أحفل بالكلِم الطيب .
- وأغنى بالعمل الصالح .

● وليعود الإنسان مجدَّداً قد : ● سلمتْ فطرته
● وتألقت صحتُه
● ثم أشرقت الحكمة فيه .

فغدا أقدر وأجدر على أن يدرك ويتحقق من قول الله تعالى : ﴿ إليهِ يَصعدُ الكلِمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصَّالحُ يرفعهُ ﴾ [فاطر : ١٠/٣٥] .

وبعد ليس المهم أن نبحث في الأطفال وحسب ، ولكنَّ المهم أن نجعلهم أقدر على رؤية المستقبل المشرق ، ليتشبثوا بالقيم الإنسانية بإصرار فيصونوها بصدق ، ويؤثروها بحق ، ويؤكدوا وجودها زاهياً في عالمنا القلق .

الفصل الأول

الطفولة التي نحبها

الطفولة التي نحبها

فرحٌ بريء ، وحاجة لا متناهية إلى الحب ؛ جملتان جميلتان تصوّران الطفولة العظيمة ببساطة ، إنها فرح ومَرَح ، فرح مشرق خليٌّ من الهموم ، ومرح دائم ، ودُعابة بغير حدود .

وإنها براءة وطُهْر ونقاء ، براءة في مواقفها ونظراتها الساذجة ، وطهر في بسماتها وضحكاتها ، ونقاء في رغباتها وعواطفها .

أحاديث الأفراح

أيُّ فرح يغمرُ قلب الإنسان المعذب يملأ حياته ويزيّن مشاعره أكبر من أفراح الطفولة ؟ .

أرأيت عجوزاً مُسِناً قسا عليه الدهر وقوّس ظهره ، وهل شاهدت محراث الحياة كيف يحفر أخاديده على خديْه ويديه ؟..

إنـك لتراه كتلـة من الهموم تتعثر على الأرض ، ولكنْ لا .. لن نراه إلا بسّاماً مشرقاً حين يلمح أحد أحفاده أو صِغاره يـدب نحوه في خطواتـه الأولى .. حينـذاك تعود إلى الشيخ المسنّ نضرةُ الحياة وتتفتح أسارير وجهـه ، ويعود من جـديـد كائنـاً فرحـاً حافلاً بالمباهج ومسرات العيش .

تلـك هي صور الطفولـة حيث تكون الطفـولـة ، إنها إذا أوحت بشيء فإنما توحي بـالفرح الهنيء ، الفرح الممتع العميق ، الفرح بالوجود والفرح بالحياة .

ثم هل شـاهـدت طفـلاً كيف يكـون ؟.. إنـك لتراه يحيـا (بكل وجوده) فإذا ضحِـك ضحِـك بملء نفسـه ، وإذا بكى بكى بكل مافيه ، وإذا نام فالنوم يملأ عينيـه ، وإذا لعب ، فـاللعب يستولي عليه ، وإذا رأى جديـداً فـالجـديـد يحتويـه !! وإذا همَّ بطارئٍ خطر له ، فإنما يجمع عليه كل حواسه وهمته .

أي شيء أروع وأبدع من (أن نحيا بملء وجودنا) ؟!

أليست أكثرُ متـاعبنـا نحن الكبـار ، تنجم من أننـا نعطّـل

معظم قوانا ونهدرها بأيدينا ؟؟ ألسنا نحيا بالأقل القليل من نفوسنا ، ولا نعيش إلا في زاوية واحدة من زوايا وجودنا .

نقبع فيها باستمرار ضاربين من حولنا سياجاً نصنعه لأنفسنا وبأيدينا ، نسجن فيه مواهبنا وكفاياتنا ونستبدل بها الألم والحسرة والتردد والوجوم !!.

ترى لماذا يكون السجن مبئساً ؟

قد لا يكون كذلك لو أنه كان كالقطار ، يتحرك باستمرار في أرجاء الطبيعة ، فيصعد الجبال ويهبط الوديان ، وينساب قرب البحار والبحيرات ، يتيح للمساجين صوراً جديدة ومناظر مُحدثة !!..

لكن السجن مؤلم بئيس لأنه يعرض على من فيه صورةً واحدة قاتمة ، يغتال فيها حرياتهم ، ويقيدهم بقيود القهر والضرورة .

وهكذا يسجن الكبار نفوسهم في جزءٍ ضئيل من نفوسهم جزءٍ واحد يبقى دون أن يتحرك ، ويستمر فلا يتبدل

ومن هنا تأتي أسوأ آلام الكبار في الحياة حين يموتون قبل أن يموتوا ، وحين تفرغ نفوسهم من الآمال قبل أن يفرغ العالم من أجسامهم المثقلة ، ومن هنا أيضاً تأتي أكبر أفراح الصغار في العيش ، فالطفولة فرح لأنها تجدد مستمر ، وليس التجدد فرحاً وحسب ؛ وإنما هو منبع الأفراح .

ذلك هو سر الفرح العميق عند الأطفال ، وسبب الحبور فيهم .

ولقد بالغ بعضهم بأهمية هذا الفرح الطفولي فقالوا : إننا لا نفرح في حياتنا نحن الكبار ولا نُسرُّ أو نبتهج إلا بما نتذكره ونتصوره مماثلاً لأفراح طفولتنا التي كانت لنا من قبل .

ونحن لا نود أن نبالغ مع هؤلاء ، وإنما نقول : (إذا أردت أن تشاهد الإنسانية في أفراحها ، وفي صفائها وصدق تدافعها ، فلتقف عند المساء أمام إحدى المدارس ولتشاهد الصغار إذ يخرجون في صخبهم وضجيجهم ، ساعة يغادرون أمكنة الدراسة ، وإذ ذاك فإنك لا ترى الإنسانية مطوية في أروع

صورها وأسماها فقط ، بل أنت لا تملك نفسك من أن ترحل مع جموعهم فتتبع تحركاتهم بقلبك وعينيك ، وترسل معهم مشاعرك وذكرياتك تحوط بهم وتضمهم وتمضي بهم إلى بعيد .

أحاديث الحب

والطفولة بعد هذا ليست فرحاً بريئاً وحسب ، وإنما هي حاجة فياضة ، إنها قوة متدفقة ، وإن شئت فقل : إنها تلهف كبير نحو الشيء العظيم في الحياة ، والذي لا تقوم بدونه الحياة ، ألا وهو الحب ، أجل وإن الطفل في حاجة إلى أن يُحِبَّ ويُحَب ، وإذا كان خبز الراشدين مصنوعاً من الحَب ، فإن الحُب غذاء الأطفال وخبزهم اليومي ، بل هو قوام وجودهم وامتيازه .

لا بُدّ للطفل من أشياء يعتني بها وأدوات يحركها ولعب يطلق عليها الأسماء ويحبها ، ولا بد لطفلة الحضانة من دمية تنومها ، ومن سرير ترتّبه ومن عرائس وأثواب حريرية وقت الحر وصوفية تحميها من البرد ، ولا مناص لطفل الروضة من

كرة يقذفها وعصاً يمتطي صهوتها ، ولا بد لـه من رفـاق يتقـاسم معهم الأفراح والمتاعب .

طفل الحضانة في حاجة إلى الصور ليقدم لها حبه ، وهو في حاجة إلى جدةٍ كبيرة تستولي قصصها على خيـالـه وتنميـه ، وهو في حاجة إلى جدٍ مسن ليقوم بـالنزهـات معـه وليمرن عينيـه على استعمال نظارتيـه ويـديـه على اللعب بسـاعتـه واستعمال عصـاه ومحفظته .

وليس الطفل بعد هذا كائنـاً بلا هويـة ، وإنمـا هو شـديـد الحفاظ على شخصيته وهويتـه ، إنـه إذا أحب فلكي يُحَب ، إنـه بحاجة إلى مَن يقدّره ويعترف به ويذكر أفعاله ومزاياه .

وإنـك لترى طفلـة تصنـع دميـة بيـديهـا ، أو ترسم صـورة لتلونهـا ، وهي تصرف في ذلـك يومـاً أو عـدة أيـام دون ملل أو سأم ، وستقدمها إلى أمها كي تنـال إعجـابهـا ، ولن تنسى إخوتهـا وأخواتها ، وكذلك الطفل فـإنـه يعيـد قصـة سمعهـا أو نـادرةً أو نشيداً أعجبه ، إنه ليُهرع مسرعاً إلى أبيـه منـذ يعود إلى الـدار ، ليروي له ما سمعه ونال إعجابه .

أرأيت أماً لا تلتفت إلى دمية ابنتها أو صورتها ، أرأيتها كيف تتابع طريقها ، فلا تبالي بالدمية أو الصورة ، أرأيت أن أوقاتها (الثمينة) أغلى من أن تُهدر في تقديم استحسان أو تقدير ؟ هل شهدت أن أحاديثها مع الجارة أنفع وأمتع ؟ وأن برامج التلفزيون أحق وأجدر ؟ (فلا يُضحى بهذه ولا بتلك) ، ثم أليست ابنتُها صغيرة ؟؟ إذن فلتبق صغيرة ، أرأيت أباً يهتم بما يقوله طفله ؟؟.. إنه يرى أن أمواله وهمومه ومشكلاته أجلُّ من طفله وجميع إخوته الصغار ، إن اهتمامه بما هو أثمن وأنفع أهمُّ من الاستماع لما يرويه طفله أو التشجيع على قول يقوله .

إنك لترى الأم (العاقلة) لا تبالي بما صوّرته ابنتُها ، وترى الأب (الوازن) يهزأ بقصة طفله ، يقول : إنها قديمة ومعروفة ! وما درى كل من الأبوين أنه يصب ماءً بارداً على جذوةٍ كانت تستحق أن تتألق ...

وبعدُ فلا عجب إذا رأينا البنت تنشأ هيابة مترددة واجفة فيما بعد .

ولا عجب إذا شاهدنا الطفل فأفاءً متلعثماً يخشى المجتمعات

والكلام مع الناس . والأم والأب يفعلان ذلك ليزوّدا البشرية ويُسهما في تكوين أرقام جديدة من المترددين والمشلولين والناقمين على الحياة .

ولعمري كأن الإنسانية تضرع إلى الآباء وإلى كثيرٍ من المعلمين حتى (يضمنوا) حداً أدنى أو عدداً بالغاً من أصحاب المخاوف والوساوس والانحراف .

أجل ! إن الطفل بحاجة إلى أن يُحِب ويُحَب ، إنه حريص على الْحُب لأنه يدرك الحياة من خلال المحبة والأفراح ، وعملية المعرفة ليست إلا عملية حب آخر الأمر ، لهذا فإنه إذ يكتشف شيئاً يصوّت أو يتحرك ، فإنك سرعان ما تشهده يخف إلى ذلك الشيء ، ويمضي لفحصه والإطلاع عليه .

شوهد طفل في الشهر الحادي عشر يفتح علبةً معدنية ويغلقها ، ويبدو أنه اكتشف صوتها وأعجب بصورتها ، وأدرك مقدرته على تكرار هذا الصوت وإذا به يفتحها ويغلقها مرةً واثنين ، وثلاثين ، حتى بلغ الثالثة والثمانين ولم يتوقف إلا حين أمسكت أمه العلبة وأبعدتها .

هكذا يبدو لنا عالم الطفل عالماً سحرياً غريب الأطوار ، وكثيراً ما يكون عذباً جميل القسمات ، أو بائساً قاتماً في أحيان أخرى ، وأياً كان الأمر فإن الأطفال أقدر من الكبار على محبة الأشياء والاندماج بها ، وهكذا نستطيع أن نفهم عبارة الغزالي حين يقول : « الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة » .

وللاستمتاع أسرار

أكدت الدراسات التي أجريت على أطفال ما قبل المدرسة[1] « أنهم لا يهتمون بنتائج الأفعال وفوائدها فقط ، بل إنهم يصيبون نجاحاً كبيراً في الاستمتاع بالأفعال نفسها » وذلكم (لعمر الله) هو المنبع الرئيسي لكل إبداع فني أو أدبي أو علمي .

إن العمل عند العباقرة ليس مجرد عمل مفيد كما يراه الناس ، وإنما هو استمتاع يشبه اللعب ، بل هو صورة خاصة

(١) راجع فن رعاية الطفل ، ج غاسيه ، ترجمة مايسة الدقر ص٢٤ وما بعدها ، وكتاب الموجز في سيكولوجية الأطفال للمؤلف ص٥ وما بعدها .

من صور اللعب ، انظر إلى الرسام الحقيقي الأصيل تجده يمتلئ حُبوراً وينسى نفسه فلا يرى أمامه إلا الخطوط والألوان مما يكون في غرفته ، وانظر إلى المربي المبدع تجده ذاك الذي يرى في دخوله صف التعليم منبعاً لا ينضب من الاستمتاع ، ومثل هذا المعلم جدير بأن لا يُنسى ولا تنسى مواقفه ، وتظل ذكراه تملأ العيون والقلوب ، ولهذا ما على الفنان إلا أن يضرب بريشته أو يحرك قيثاره حتى تسمع وجيب المشاعر وتشهد دموع الأفراح تتلبسك وتستولي عليك .

إن الحياة التي أعدها وخلقها الخالق الجميل جميلة في ذاتها ، والفنانون وقبلهم الأطفال يكشفون عن أسرار جمالها ، بمجرد أن يكونوا أو يكون وجودهم فيها .

ولهذا يقال : « إن الجمال هو الفرح بالوجود ، وهو فرح عظيم بحياته المتجددة » .

وإذا بدا لبعضهم أن يظن أن هذا يقتصر على أمور الفن وقضايا الأدب ، ولا ينسحب إلى العلم ، فإننا نقول : إن الإبداع

حيثما كان ، ينتمي إلى طبيعة نفسية واحدة ، ذلك أنه منذ أن تتجلى الحقائق وتتكشف الظلمات تشرق الفطرة ، فطرة الله .

(أدبية كانت أم علمية ، فنية كانت أم شعرية) ، فإن انكشافها يملأ الشعور بالمباهج ، وتراه يخضع للشروط النفسية التي تجدها[1] عند الأطفال .

وهكذا فإن طفلاً ينثر بين يديه ألوانه ويرتب صوره ليس إلا شاعراً يجمع مشاعره أو باحثاً ينظم تصوراته ، وجميع هؤلاء يستغرقون في عملهم ، وينسون أنفسهم في تيار ما يسمعونه ويشهدونه .. ويحسون به في أعماقهم ، ولن يكون شاعراً أو فناناً مبدعاً إلا من احتفظ بقلبه الكبير ومشاعره المترفة التي كانت تملأ جوانحه وتتحرك في أحلامه وهو صغير .

(١) ولا ينكر أحد أن الإبداع (وإن كان يستمده الباحث من أحلام الطفولة ورؤاها) إلا أن الإبداع العلمي يقتضي الضبط وتنظيم الوقائع والتقيد بالدقة ، والفروق النفسية بين نوعي الإبداع هي فروق في الدرجة لا في الطبيعة .

أحاديث النقاء الخلقي

إن هؤلاء المبدعين الصغار هم فوق ذلك معلمون في الأخلاق بفطرتهم ، معلمون لمن يريد أن يتعلم ، وأنت ترى بنظرة واحدة تلقيها إلى الأطفال ، ضمير الإنسان واضحاً مضيئاً على صفحات وجوههم ، وحركاتهم ، إنهم لتراهم يأبون أن يحملوا حقداً أو ضغينة[1] . إليك مثلاً الحادث العادي الذي يجري كل يوم حين يعاقب الأب طفله في السنة الثالثة مثلاً ، ولاحظ ما يجده في نفسه كل من الأب والابن .. تجد بعض الندم عند الأب ، وقد يُهرع إلى غرفة ابنه ليسترضيه ، فيدهش الطفل ويأخذه العجب ، ولا يمتنع عن انتهاز الفرصة ليستحث والده على إجابة طلبٍ كان قد تعثر فيما مضى ! فما يهم ما حدث أمس إن هذا يوم جديد ، وله من المواقف كل جديد .

وهكذا فإن المعلمين الصغار لا يخبئون شيئاً أو يكتمونه[2] وكل ما خبؤوه أو كتموه أظهروه وضاعفوا في إظهاره .

(١) وإذا وجدت شيئاً من هذا عند أحد الأطفال فتأكد أنه اكتسبه من أحد الكبار .

(٢) وقد يسببون بعض الحرج لذويهم حين يكذبون .

فمن لم يتعلم حقائق الضمير الصادق من الطفل فما هو يستفيد من أبحاث الأولين والآخرين في قضايا الوجدان ، ومن كان عاجزاً عن رؤية الصفاء الإنساني من الصغار ، كان أضعف من أن يستشعر النبل في العواطف المعقدة عند الكبار .

أحاديث ومناجاة

تقول المربية الكبيرة والشهيرة (السيدة مونتسوري) على لسان الطفل « هناك حياة أخرى ضللْت عنها (أيها الكبير) » .

تعلمْ كيف تحيا ، تعلمْ كيف تجعل حياتك أجمل وأجود وأقرب إلى الفطرة ، إنها حياة أبسط وأنبل

هناك حياة أقرب إلى الفطرة ، دعني من الرسميات في المدن ، واسمح لي أن أنمو وأكبر في الطبيعة الغنية المليئة ، دعني أجدْ تجارب أجدادي لمصلحتي ، باتصال مباشر مع الأرض والغابة والمياه ، تحت قسوة الفصول ونعومتها ، ليكن غذائي قبل كل شيء من تلك الأنواع البسيطة التي أعطت الإنسان قواه ومناعته .

لتكن حياتك أبسط وأيسر ، دعوا من أجلي كل تصنع وتعقيد ، لتكن ثيابي دافئة وخفيفة ضد مفاجآت الطقس ، لكنني أشترط عليكم ألا تجعلني هذه الثياب عبداً للأزياء ، وأن لا تقيّد حركاتي وألعابي ، كما أطلب ألاّ يعلو المذياع(١) فينغص علي نومي ، ونجوى قلبي ، أو يعكر عليّ صفائي وأحلامي ، لا تفتشنّ عن أفراح المدينة وضجيجها ، إن خيالي لينقلني إلى مسافات أبعد وصور أحلى وأطرف مما تقدمه الأفلام .

إنني أفضل أن أقطف الثمار في الأحراج وأعدو في البراري ، وأغوص في السواقي من أن أبقى أسيراً في السيارة .

(١) لقد نبهتنا (مونتسوري) وكشفت عن أضرار (الراديو) يوم لم يكن البشر يعرفون إلا (الراديو) ، ترى ماذا ستقول حينما تشاهد (التلفزيون) وبرامجه التي تغتال الوقت والهدوء ، وتهدر الكثير من أنواع الكرامة ، وتجعل الإنسان (عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) إلا أن يستمع وهو مدهوشٌ ومنهوب ، وتظل تتابع مسلسلات الجنس والعنف واللامعنى .

وهناك أسر كثيرة في بلادنا تأخذ حيطتها لهذه الناحية فتسمح لأطفالها فقط مشاهدة برامج العلم والطبيعة والتاريخ ، وذلك بمساعدة أمهاتهم وإثارة النخوة والشرف فيهم .

لا أحب أن أبتعـــد عن بيتي ، بـل أحب أن أبقى بقرب إخـوتي وأمي ، وأنـا أعرف أي بيتٍ يكـون أليـق وأطيب ، إنـه الـذي يجمعنـا حـول الحسـاء السـاخن في المسـاء ، ويطيب فيـه السمر ، ويمتلئ بالدعابة .

هناك حياة أكثر هدوءاً ودعـةً ، إنني لست مخلوقـاً لأعيش في عالمكم القلق ، ولا في دنيـاكم الصـاخبـة ، ولهـذا تجـدونني أتوق وأحتـاج إلى زمنٍ أتصـل فيـه مـع الأشيـاء ، زمن أشـاهـد فيـه وأفكر ، زمنٍ أعي فيه وأفهم ، إنني أحتاج إلى زمن كما أحتاج إلى هدوء أنشئ من خلالـه نفسي وأبني ذاتيتي ، إنني أحتـاج إلى زمن كما أحتـاج إلى رويـة تسـاعـدني لأصنـع صحتي وأرعى قـواي وتأملاتي .

دعوني أحيا حيـاة الطفولـة ، دعوني أشـاهـد وأسـأل وأنـام ـ كلمـا تعبت ـ لا تـدفعـوني وتحتقروا ضعفي ، بـل أعينـوني كي أقوي قلبي ، وأسـدد فكري لأظل بعيـداً عن الجموح الـذي يتحكم في دنياكم ، والطيش الذي يملأ عالمكم القلق .

هناك حياة أنبل وأسمى : لا قيمة للجاه عندي ولا للذهب ، إن قلبي مفعم بالأحلام ومترع بالأمل البسّام ، إنني أهوى كل أثير ، ولهذا تروني أتعطش للعدالة ، كما تروني أتوقع أياماً أجمل وأجود ، تملؤني رضىً وتملأ روحي غنًى ومحبة » .

فرح ومحبة ، وتجدُّد وصفاء ، وبساطة وسمو ، تلك هي الطفولة في أثوابها القشيبة ، وتلك هي الروعة التي لا تتناهى وتحرك كل إنسان ، وستبقى هذه الكلمات مجموعة من الألفاظ ، اللهم إلا حين نفهم الطفولة ، ولن نفهمها إلا حين نحبها بحق ، وحين نحبها نستطيع أن نقف على عالمها بإجلال وإكبار .

وبعد :

فإن في الطفولة معنى رفيعاً من معاني السمو ، معنى جديراً من معاني العبادة ، حيث يلتقي ضعف الإنسان بعظمة الله ، وينقشع قلق المخلوق فينعَم برحمة الخالق .

هكذا نفهم الطفولة في بلادنا ونهيئ لها ما تستحقه من

تقدير ومنذ كان لنا تاريخ مشرق كنا نرى واثقين :

«أنه حيث يكون في البيت أطفال فذلك من فضل الله » .

« وحيثما يكون أطفال البيت طيبين طاهرين فتلك رحمة من الله » .

« وحيثما ائتلف فضل الله مع رحمته ، كانت النعمة القصوى » .

« وكانت البهجة بغير حدود[1] ، وكانت سعادة الإنسان في الداريْن » .

﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ [يونس : ١٠/٥٨] .

صديقي أيها القارئ الغالي : كنتُ أتمنى أن يتسع لي المجال فأبيّن[2] وأشرح مواقف الآخرين من أطفالهم ، وأوضاع الصغار عندهم وأوضاعهم عندنا .

---

(١) فعاش الإنسان الذي كان طفلاً حياةً حافلة بالتوفيق وتألقت فيها المكرُمات .

(٢) أرجو أن أفعل ذلك وأنجزه بمشيئة الله في حلقة خاصة من سلسلة الصحة النفسية .

ولكنني أقول الآن : لقد أدرك العلم كُنه (الذرة المادية) فحطّمها واستخلص الطاقة العظيمة التي حشدتها مشيئة الله فيها ، فاستخدم معظمها في الإرهاب والتدمير ، والمطلوب اليوم أن تَدْرَك (الذرة الإنسانية) لتُدرج في برامج البناء والتعمير .. وإذا كان للإنسانية من أمل ورجاء في عالم أفضل فسيكون بغير شك أملاً بالطفولة ورجاء بالأطفال .

وإذا أمكن لعالم الغد أن يكون أفضل من عالم اليوم ، فسيكون ذلك نتيجة من نتائج إعداد الأطفال ، وذلك لأن الإيمان بالتقدم الصحيح ، إنما هو إيمان بالطفل ، والطفل هو أحدث تجربة تخرج من يد الله على مثال أنضر وأفضل وأكثر جدة وتطلعاً .

تعريف الطفولة

يجمع علماء البيولوجيا والنفس على تعريف الطفولة بأنها : « الفترة التي يقضيها صغار الحيوان والإنسان في النمو والترقي ، حتى يبلغوا مبلغ الراشدين ، ويعتمدوا على أنفسهم في تدبير شؤونهم ، وتأمين حاجاتهم الجسدية والنفسية ، وفيها يعتمد الصغار كل الاعتماد على ذويهم ومربيهم في تأمين بقائهم وتغذيتهم وحماية هذا البقاء .

إنها فترة قصور وضعف وتكوّن وتكامل في آن واحد .

وتختلف هذه الفترة باختلاف الحيوان ومدى رقيه ومستواه ، فالحيوانات الدنيئة (الديدان والنقيعيات) لا طفولة لها ألبتة ، إنها تأتي كاملة الأعضاء ، أجهزتها بسيطة ووظائفها محدودة ، وتكون متماسكة وأقوى مما عداها ، وهكذا نجدها منذ التكوّن قادرة على أن تكفل نفسها بنفسها ، وتأمين بقائها .

وإذا صعدنا قليلاً ووقفنا عند (الفراشة) وجدناها تبيض بيوضها ، وتموت قبل أن تصل الأجيال القادمة ، وإذن لا طفولة هنا ولا رعاية من الآباء بالأجيال ، وإنما ضرورة البيئة وملاءمتها هما اللتان تفقسان البيوض وتحميان السرفات (أو المواليد) التي تكون منذ البداية قادرة على الحركة والتغذي .

أما (الحمام) فإنه يوجه إلى صغاره رعاية خاصة ترتقي عما قبلها : وهكذا فإنه يقدم لصغاره العش والدفء ، ويلقمها الغذاء ، ثم يتولى تعليمها الطيران ، وكل هذه الوظائف المعقدة يكون الفرخ ـ الذي نَقَف عن البيضة ـ عاجزاً عن تحقيقها أول الأمر ، ولهذا يظل فرخ الحمام والطيور ، (طفلاً) ريثما يقوى جناحه ، ويستطيع الطيران ، ويغذي نفسه بنفسه ، ولا يقتضي هذا فترةً طويلة .

وأما (مولود الحصان) فإن طفولته تستمر طالما أنه يرضع من أمه ، وريثما تقوى قوائمه على احتمال العدو والركض .

وأما (طفولة القرد) فإنها تطول وتطول ، وتُشاهد عناية الأبوين هنا بشكل واضح (في النظافة والحماية والحنان) إن قردةً إذا أبعد عنها وليدها تصيح وتصرخ وتمتنع عن الطعام ريثما تلتقي به ، وفي حديقة الحيوان بالقاهرة شوهدت قردة تحمل وليدها ستة أشهر كاملة لم تضعه لحظة على الأرض ، وكانت تبذل له العناية بإطعامه ونظافته وتمشيط شعره .

وأخيراً فإن طفولة الإنسان تمتد لفترة هي أطول طفولة لأي كائن حي آخر ، وفي الوقت نفسه فإن الإنسان يتمتع بأعلى درجة من درجات الذكاء .

يولد الإنسان ضعيفاً عاجزاً لا حول له ولا قوة ، لا يستطيع أن يطعم نفسه ولا أن يتحرك بإرادته أو يُثبت نفسه ، ويظل ينمو فيكتسب القوة التي تساعده على أن يمتلك نفسه وجسده ، ويتعلم الوظائف وأساليب العمل التي تساعده على أن يعتمد على ذاته في تحصيل معاشه وتأمين حاجاته .

فإذا لاحظنا أن حاجات الإنسان كثيرة (فهو لا يحتاج إلى

غذاء وكساء فحسب ، بل يحتاج إلى أن يتعلم ويترقى ويفهم الأشياء ، ويحسن استعمالها واكتشاف قوانينها والأسس التي تقوم عليها ... إلخ) إذا لاحظنا وفرة الحاجات الإنسانية ، عرفنا أن الإنسان مطالب بأن يقضي زماناً أطول مما يقتضيه كائن حي آخر كي يؤمّن حاجاته ، وسنبدأ بشرح وظيفة الغذاء عند الإنسان وغيره .

طريقة التغذية

إن صغير الدجاج يتناول الحب بمنقاره بعد ساعات من خروجه من البيضة ، أما الطفل الإنساني فيظل سبعة شهور وهو يقبض بكلتا يديه على الأشياء دون أن يدري هل تؤكل أو لا تؤكل ، ولا كيف يتصرف بها ، وهل هي بارزة محدبة أو مقعرة ، كما أنه يبقى فترةً تصل إلى سنوات حتى يتعلم ويعرف الأشياء التي تنفعه فتؤكل ، ويميزها عن غيرها مما لا يؤكل . وليس معنى هذا أن صغير الدجاج أبرع (أو أرقى) من صغير الإنسان ، وإنما معناه أن عملية التقاط الحب بالمنقار عند الفرخ عملية بسيطة لا تحتاج إلى الدقة التي ينبغي أن تتوفر

في أصابع الإنسان حتى يصنع ما يمكنه أن يتغذى به ، علماً أنه لا يستطيع وحده أن ينجز شيئاً من ذلك بنفسه ، وكل ما هنالك أن يتمكن من حمل ما يأكله ويوصله إلى فمه (بإبهامه وتتوافق حركة الإبهام مع السبابة والسلاميات والكف) وإذا كان في بيئة راقية كان عليه أن يستعمل وسائل كالملعقة والسكين .. إلخ في إيصال الطعام إلى فمه بطريقة مقبولة وغير مستهجنة .

وبعدُ فإن وظيفة التغذية هي أبسط الوظائف ، وهناك وظائف أخرى أعقد وأبلغ لا تُحصى ولا تُعد ، ونذكر منها ما هو ضروري مباشر .

وظائف السكن ، واللباس ، والسير ، واكتساب اللغة ، وتحقيق التفاهم ، والتعاون ، ومقاومة الظروف المؤذية ، كتحولات الطقس ، ودفع الأذى الناجم عن حيوانات البيئة والحشرات ... والعدوى .. إلخ . ناهيك عن وظائف أخرى تعد أرقى ولا تحصى بدورها ، وتصبح ضرورية مع الأيام مثل طلب العلم والارتقاء بالصحة ، والرياضة ، والتماس طرق الإبداع ،

التي توسّع خبرات الفرد وتزيد في ثراء المجتمع وارتقائه ، وجميع هذه الوظائف لا يصنعها الفرد بنفسه ولا يستخدمها إلا مع الآخرين .

الخلاصة : أن هناك أمرين اثنين يسببان الطول المتزايد لطفولة الإنسان :

١ ـ كون الإنسان أضعف الحيوانات عند الولادة وأعجزها .

٢ ـ مع أن مستوى الحياة التي يحياها أرقى مستويات الحياة .

إن على طفل الإنسان أن يرتقي إلى مصافّ الحضارة المعقدة بجسمه الواهن وكيانه غير المتماسك .

وتلزمه حتى يدير ذاته ويسيّر نفسه بنفسه أمور لا حصر لها نلخص أهمها فيما يأتي :

١ ـ تحصيل النمو العضوي .

٢ ـ تحصيل النمو العقلي .

٣ ـ تحصيل النمو الانفعالي .

٤ ـ تكوين الشخصية .

ويتم كل هذا في إطار الصحة النفسية للنمو .

تحصيل النمو العضوي : إن تكوين أساس عضوي لشخصية الطفل يقوم على :

ـ نضج الحواس وتآزرها مع الحركة .

ـ نضج السيطرة العصبية وتأمين التوافق بين أجزاء الجسم من جهة وأجزاء الجسم مع العالم الخارجي من جهة أخرى .

ـ وسيعمل هذا كله على تسهيل الانتقال إلى النمو العقلي .

تحصيل النمو العقلي : وحين يتمكن الطفل من السيطرة على حواسه وحركاته يكون مؤهلاً للاستفادة من ذاكرته وإدراكه .

إن الذاكرة تجمع الخبرات والمعارف التي يحصلها الطفل في نسق واحد . وكما أن الجملة العصبية تنظم وتعين على الربط بين مختلف أعضاء الجسم ، فإن الذاكرة موكلة بالربط بين مختلف نواحي النفس .

تحصيل النمو الانفعالي : تضم الانفعالات الجوانب التأثرية (كاللذة أو الألم) والجوانب العاطفية (كالميول إلى الأشياء والأشخاص)

والجوانب المضطربة (كهيجان الغضب والحزن والفرح) ويساعد على توافق هذه الجوانب النضج العقلي والنضج الاجتماعي .

ويُقصد **بالنضج العقلي** : نمو استعدادات الطفل للمعرفة والتمييز والفهم .

النضج الاجتماعي : نمو استعدادات الطفل للمشاركة الوجدانية والشجاعة والتعاون والتقدير الخاص بالقيم (من حق وجمال وخير وقداسة) .

وحين يتصل الطفل برفاقه في الحضانة يحمل معه عواطف أسرته وعاداتها ، ولكنه سيتعلم كيف يضبط تصرفاته وعاداته كالصراخ والطمع بما في أيدي الآخرين والمشاجرة والأنانية . وحين ينجح في ضبط تصرفاته والسيطرة على عاداته غير المقبولة **سيمد الجسور لتنقله الى التفاهم مع الآخرين** ، بطرق اللغة والتعامل العقلي مع الصغار والكبار خلال وجوده في بيته ودار الحضانة ، ثم في وجوده بالروضة ، ثم يتكامل في المدرسة الابتدائية وما بعدها .

وكما يبدو فإنها رحلة طويلة وشاقة تلك التي يقوم بها الطفل ، انطلاقاً من السنة الأولى إلى أن يدخل المدرسة ، وحتى يبلغ مبلغ الرجال بعد ذلك ، وكثيراً ما لا يوفق الطفل في هذه الرحلة فيضطر إلى الاصطدام مع الآخرين وأنظمتهم ، وينعكس هذا الاصطدام على الصغير فيشعره بالفشل والخيبة .

يشير علماء النفس إلى خطورة هذه المرحلة بالنسبة إلى الطفل مبينين أن ما يلاقيه الطفل من تشجيع ومحبة ، أو ما يعانيه من إهمال أو تجاهل أو اضطهاد سوف يتدخل في تكوينه ، فيشب ويكبر حاملاً معه أساليب حياته الأولى فيكون شجاعاً مقداماً مرتاحاً إلى الآخرين ، واثقاً من نفسه ومن الناس .

أو يكون هياباً متردداً يحيا حياة الحذر والريبة ، أو حياة التلاعب أو الانقضاض .. أو الجريمة .. درس العلماء كل هذه الاحتمالات وقالوا :

إن الطفل هو أبو الرجل

المميزات العقلية لأطفال المرحلة

تتميز طفولة ما قبل المدرسة بميزات طريفة اكتشفها العالم النفسي بياجيه Piaget وأسهب في شرحها وأهم هذه المميزات :

١ ـ مركزية الذات Egocentrisme .

٢ ـ الإجمالية Syncretisme .

٣ ـ الواقعية Realisme .

٤ ـ الإحيائية Animisme .

٥ ـ الصناعية Artificialisme .

مركزية الذات Egocentrisme

نأتي بأمثلة نستخلص منها أموراً تتعلق بمركزية الذات وتشرحها :

مثال رقم (١) : في أسرة الطفل سامر أربعة إخوة وهو واحد منهم إنه في السنة الخامسة من عمره سئل ذات يوم كم أخاً

له ؟ فأجاب : ثلاثة . ثم عدّدهم قائلاً إنهم نبيل ومحمد وإبراهيم ، ولما سئل كم أخاً لأخيك نبيل قال اثنين ولم يحسب نفسه أخاً لنبيل ؛ لأنه يدرك أن نبيل ومحمد وإبراهيم هم إخوة له ، ولكنه لا يتصور أنه أخٌ لكل واحد منهم !.. إنهم إخوةٌ له أما هو ... فالأمر يختلف ويتطلب النظر .

نتيجة : إن الأطفال دون السادسة يدركون الأشياء والعلاقات من وجهة نظرهم ، ويعجزون عن إدراك وجهة نظر الآخرين (يعرف ما يخصه هو لا ما يخص الآخرين) .

مثال رقم (٢) : أمامنا طفلان نزار في السنة الثالثة وشهرين هو ابن للسيدة نادية ، والثاني سعيد في الثالثة شقيق السيدة نادية (أخوها) ، أي إن سعيداً خال لنزار .

يتحدث نزار وسعيد عن نادية ، يقول نزار إنها أمه ، وأما سعيد فيتحدث عن نادية قائلاً إنها أخته ، يختلف نزار مع سعيد حول قرابة نادية لهما فالأول يعرف أنها أم ، والثاني يعرف أنها أخت ، ولا يتصور كل منهما كيف يمكن أن تكون نادية أماً

وأختاً في وقت واحد ، ثم يؤكد كل منهما وجهة نظره جاهلاً وجهة نظر غيره .

نتيجة : إن الطفل مادون السادسة لا يستطيع أن يدرك وجهة نظر الآخرين إنه عاجز عن الموضوعية .

مثال رقم (٣) : قف أمام الطفلة ليلى (وهي في السنة الثالثة وعشرة شهور) وجهاً لوجه ، واطلب منها أن تذكر لك أين يدها اليمنى ؟ تنظر (ليلى) إلى يديها ، ثم تشير إلى يدها التي اعتادت أن تكون الأسورة فيها .

قل لها بعد ذلك : طيب أين يدي اليمنى أنا ؟؟ فتشير إلى يسراك التي تقابل يمناها ، وتقول : هذه يدك اليمنى .

نتيجة : لا يدرك الطفل ماقبل السادسة العلاقات بشكل موضوعي منفصل عن إدراكه الذاتي ، وفي الوقت نفسه لا يعرف كيف تكون ذاتُه في نظر الآخرين .

فهذه هي الميزة الأولى (مركزية الذات Egocentrisme) .

الإجمالية Syncrétisme

إن الكبار يدركون معنى القانون ، ويعلمون أن الإخوة أياً كانوا يؤلفون (كلاً مركباً ، أو كلاً تركيبياً) لمعنى الإخاء وجميع الأفراد يشتركون في انتمائهم إلى (الكل) ، ومثل هذا الكل المركب يعجز الطفل دون السادسة عن تصوره وفهمه (بسبب مركزية الذات التي أشرنا إليها) .

ومن أجل إيضاح هذه الناحية نقول : (تسير قطعة عسكرية من الجنود في طريق) . إنها تؤلف كلاً منظماً ومركباً ، أما الجموع التي تحيط بالجنود كمتفرجة ، فإنها تؤلف (جماعة إجمالية) إن تفكير الطفل يشبه الجموع لا الجنود .

إنه يملك صورة إجمالية لا تركيبية ، لأن التركيب يقوم على معرفة وإدراك انتظام الأجزاء (التي يتألف منها الكل) مع بعضها .

الواقعية Realisme

مثال (يستيقظ الطفل راشد وهو في السنة الثالثة في

الصباح ويطالب إخوته بالليرة التي كانت معه ، وينتحب ويبكي مؤكداً أنها كانت معه) ويسأل الأب والأم عن هذا الادعاء ، فينكران أنه كان مع راشد أي شيء ، والحق أن الطفل راشد رأى في منامه أن الجارة أعطته الليرة .

نتيجة : إن الطفل قبل السادسة لا يفرق بين الأشياء في الحلم والأشياء في الواقع فهذه هي الواقعية ، إنها تعني أنه يتصور لأحلامه وجوداً واقعياً فما أطرف هذا .

الإحيائية Animisme

- يناجي الطفل الصور في البساط والستارة ويُسارُّ من الكتب الحافلة بالصور ، ويعزو إليها الشعور والإرادة كما عنده ، إنه يسمع صوت الذئب في الكتاب وتدعوه خرفان القطيع إلى رحلات عذبة في البراري والجبال ، فهذه ليست صوراً تراها العيون فقط ، وإنما هي كائنات حية تشبه حياته هو ، وهي تكلمه وتصغي إليه وهو يأمرها ويعلّمها ويتعلم منها .

- شوهدت طفلة في السنة الثانية تضرب لعبتها على خديها وقفا يديها وتؤنبها بكلمات اعتادت أمها أن توجهها إليها ، تقول لها : (قلت لك ألف مرة غسّلي وجهك ويديك قبل النوم ، كوني دوماً نظيفة) .

- يقع الطفل (فتحي) وهو في السنة الثانية وثلاثة شهور ، على الأرض من جراء ردة الباب (الأوتوماتيكية) التي دفعته ، فيظل مدةً على الأرض وهو يبكي ، ثم لا ينقطع عن البكاء إلا حين تأتي الأم ، فتؤنّب الباب المؤذي ، وتُفهمه أن (فتحي) حبّاب ، وهي لا تسمح للباب أبداً أن يؤذيه مرةً ثانية ، ويُسر فتحي حينما يشاهد الباب يُضرب بيدها جزاء ما اقترفته يداه .

نتيجة : وهكذا يبدو عالم الصغار (قبل السادسة) عالماً سحرياً ، يتجاوب مع الأطفال ويناجيهم ، ولعل هذه الميزة هي التي تحمل السرّ العظيم الذي يملكه الصغار والذي يجعلهم يتحدثون بفطرتهم ويستمعون إلى الأشياء بعيون الفطرة .

وهـذه الميزة هي التي نجـدهـا عنـد الشـاعر الكبير الـذي يتحدث مع الغيوم ، ويتكلم مع البحر ، وتنـاجيـه أرض الوطن وشجرة بيته (إذا كان غائباً عن وطنه وداره) .

وهذا هو الذي أشار إليه (ڤـاغنر) حين يقول إن العبقري هو رجل استطـاع أن يحتفـظ بمشاعره العظيمة وقلبـه الطفولي الذي كان يملكه وهو صغير .

ولعـل مـا يـدعـو إلى الأسف أن الصغـار حينمـا يكبرون يفقدون هذه الميزة ، وذلـك لأن نمو عقولهم وخبراتهم الفعليـة تتم على حساب (الإحيائية) التي كانوا يملكونها .

الصناعية Artificialisme

ـ يتصور الطفل في هذه المرحلـة أن كل شيء قـد صُنع من أجله ، وأن أبو يه قاما بصنعـه من أجلـه ، إنـه يـدرك بفطرتـه فيتصـور (أن الشمس) خُلقت لتـدفئتنـا ، وأن (المطر) لتنمـو زراعتنا ، و (الماء) لنشربه ، و (الأرض) لنمشي عليها[١] .

---

(١) هذه مقولـة الفطرة التي تنطلق على لسـان الطفل معلنـة أن كل شيء على =

ـ يُسأل الطفل (فايز) وهو في أوائل السنة الثالثة ماذا يفعل أبوه وتفعله أمه ؟ فنسمعه يقول : إن أباه أقوى إنسان ، وهو أقوى من الضبع ومن الحرامي ومن البوليس !.. وأمه أحلى أم وأجمل من كل امرأة !.. وهو يملك أظرف الأشياء وبيته أحسن بيت ، وأن أباه سيأتيه حين يسافر بأحلى الهدايا ، وسيأخذه إلى آخر العالم .

نتيجة : هذه الميزات الطفولية تُعتبر في نظر (بياجيه) مماثلة للأفكار البدائية ، وكما أن البدائيين يتصرفون تصرفات تشبه تصرفات الأطفال ، فقد كان (بياجيه) يرى أن الإنسان يجب أن يغادر مرحلة الطفولة ويهجرها حتى يُتاح له أن يصل إلى مرحلة العقل والمنطق.

وليس صعباً أن تُنقد عند (بياجيه) محاولته في تحديد اكتساب العقل بوقت محدد أو فترة معينة من الأزمان . ففي هذه المحاولة توجُّه مادي يجعل النفس كالمادة الممتدة ، وهكذا

= الأرض مخلوق من أجل الإنسان ، وأن الأرض بكل ما فيها مسخّرة وذلول لإرادة البشر .

فـإن من حـق كل إنســان أن يســأل في أي يـوم وفي أي شهر أو أسبوع تمّ تكوُّنُ عقلـه ، والحق أن العقل والفضيلـة والقـدرة على الفهم وفعل الخير[١] وتصوره ... هذه الفعاليـات النفسيـة تكون عند الطفل منذ ولادته في صورة فطريـة ﴿ فِطرةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾ [الروم : ٣٠/٣٠] ، وذلـك كمثل البـذرة التي تكمن فيها خصائص الشجرة وأشكال الثمار والغصون والأوراق) .

(١) والسؤال هو « هل يقبل (بياجيه) أو غيره أن يُقـال لـه : إن وجـدانـك وضميرك قد تكوّن في الساعة ٦ مساء من شهر شباط ؟؟ مثلاً » .

المميزات الحركية والعاطفية لأطفال المرحلة

أما وقد تعرفنا إلى الميزات العقلية التي تتميز بها الطفولة ، فإننا نعمد الآن إلى بيان الميزات التي يتميز بها سلوك الأطفال من الناحيتين الحركية والعاطفية ، ولعل أهم هذه الميزات ما يأتي :

تمهيد :

خلق الله تعالى الأطفال وأودع فيهم كل ما يحتاجونه كي يحيوا حياتهم الطفولية ، وينتقلوا إلى عالم الكبار .

ومن الخطأ بل الضلال أن ينظر إلى الطفل كراشد صغير ، بل إن الطفل طفلٌ وحسب ، ولا يجوز أن ينظر إليه ويُعامل معاملة النقص أو الانحراف ، وفي رأينا أن الطفولة ليست مرضاً يجب مداواته ، كما أن التربية لا تعني اختلاس الطفولة وأفراحها

وأخذها بمقاييس الكبار ، ولا في استلاب ما فيها من خصائص ، إن هذه الناحية قد أدركها الغربيون بشكل واضح مع فلسفة (روسو) أي بعد ظهورها عندنا بثمانية قرون على الأقل[1] .

وحين ندرس الميزات التي يتميز بها الطفل من النواحي نجد فيها ما يأتي :

أولاً : في الطفل باقة محتشدة من الطاقات الكامنة والاستعدادات العاطفية المتفتحة ، وعلينا أن نلاحظ أن ما يُسمى (الدفعة الحيوية Elan vital) في علم الحياة تكون في الأوج عند الصغار ، وكما أن القذيفة التي تنطلق من البندقية تكون في بدايتها أشد ما تكون وفي أقوى حالاتها ، فكذلك يكون الطفل .

ولما كانت الطفولة تمر بمرحلة الإعداد والتكوّن ، فإن الطفل يعاني ـ في كل لحظة يحياها ـ ويمارس تبدلاً طارئاً في

(١) كان الإمام الغزالي يقول طفلك جوهرة نفيسة ، حافظ عليها لقد زوّدها الله تعالى بكل ما يجعلها قابلة للتعلّم ، وقد كان هذا الكلام قد أصدره الغزالي في حين كانت العصا هي الأداة الوحيدة لتربية الطفل بأوربا .

حياته الجسدية والنفسية ، وهو ما يعني دوماً أن تتفتح قواه وتنضبط طاقاته ، هذا شيء وشيء آخر أهم وهو أن المولى تعالى أودع في الأطفال طاقات ذاتية داخلية تجعله مستعداً على الدوام لمواجهة عالم الكبار .

وتُواجّه البيئة الخارجية (من برد وحر وجراثيم) بطاقات داخلية ، ويذكر الأطباء مؤخراً أن كل طفل يولد يحمل منذ ولادته مناعة ضد كثير من الأمراض لفترة تدوم ستة شهور ، ويملك الطفل (نظير هذه المناعة العضوية) مناعة نفسية يكتشفها علماء النفس المعاصرون ويبتهجون غاية البهجة حين يوفقون إلى معرفتها .

ثانياً : وينتج عن الميزة السابقة مزية ثانية تتعلق بها وتدعمها ، وهي أن الطفل مزود دوماً باستعدادات تساعده على الاستجابة لكل تأثير خارجي استجابات نافعة له ومعينة على نموه والحفاظ عليه .

إن كلاً من الضوء .. والصوت .. والحركات من حوله ،

ولمس رأسه ويديه يجعل الطفل يستيقظ انتباهه فيستجيب بحركات انعكاسية ، إن الطفل في نهاية السنة الأولى (وقد يكون من قبلها) يكتفي برؤية أمه أو سماع صوتها من غرفة إلى أخرى ، حتى يمد يديه نحوها ، وتظل هذه الناحية تصاحب الطفل ، فنرى الطفل في السنة الرابعة بمجرد مشاهدته كرة ، يركض خلفها[١] وتكفيه رؤية الحلوى حتى تتلمظ[٢] شفتاه ويستعد لتذوقها والتنعم بها .

موجز القول : إن بين الميزات الطريفة التي ينبغي ملاحظتها وتقديرها (كثرة الحركات والاستجابات) .

وطبيعي أن حركات الطفل تبدأ أول الأمر مشوشة مضطربة لا رابط يربطها ولا تنسيق ، ثم ما يلبث أن ينظم هذه الحركات ويجعلها متوافقة ، ويساعد الذكاء في تحقيق ذلك كما تساعد التربية الرصينة من قبل الأم الواعية على تحصيل النتيجة

---

(١) راجع الموجز في سيكولوجية الأطفال للمؤلف صفحة ٢٩ .

(٢) شوهد طفل في الثانية يمشي مع أمه في الشارع فيتركها لأنه شاهد حلوى خلف الزجاج ومضى يحرك لسانه على الزجاج ليلعقها !!..

ذاتها ، وهكذا يحذف الطفل الكثير من الحركات الطائشة ويستبدل بها حركات متزنة .. وطبيعي أيضاً ألاّ يتعجل الكبار في هذا الأمر ، بل ليتركوا الطفل يضبط تصرفاته بنفسه .

ثالثاً : إن كثرة الحركات عند طفل المرحلة تفضي إلى كثرة الألعاب ، وعلينا منذ الآن أن ندرك أن اللعب ليس مجرد تصريف للطاقة ـ كما كان يقول دارون ـ وإنما هو سبيل إلى تكوين الطاقة ، انظر إلى لاعبي كرة القدم ، فإنك تجد أن ممارستهم اللعب فترة بعد فترة تجعل ناتج لعبهم يتعاظم كما تجعل شكلية اللعب تتضح وتكسب التنسيق والجمال مع مزيد من القوة .

رابعاً : كان العالم النفسي (ماك دوغال) يرى أن الفاعلية تُنتج الانفعال ، وهكذا فإن انفعالات الصغير تتناسب دوماً مع فاعليته ، فالطفل ليس فقط كثير الحركات والألعاب ، وإنما هو أيضاً كثير الانفعالات .

وهكذا فإن الطفل سريع الانفعال والاشتعال العاطفي ، ويبدو قابلاً للاضطراب والفعل ورد الفعل ، يشتعل غضباً في

لحظات كما ينطفئ غضبه في لحظات (وجلّ الخالق) فإن الطفل يعود إلى السرور في لحظات .

خامساً : يلاحظ أن طفل المرحلة التي ندرسها يحيا في لحظات متقطعة ، ولذلك نجده يعيش تحت تأثير إحساسات اللحظة ، فيحيا في حاضره ، ويسعى ليتحرر من هذه الناحية بمقدار ما تغتني ذاكرته (التي تحفظ له تجارب الماضي) وتغتني مدركاته (التي تجعله يستفيد متوجهاً صوب المستقبل) .

سادساً الأنانية عبارة عن (تطور مركزية الذات) : شاهدنا المميزات العقلية لعقلية طفل المرحلة وقلنا : يبدأ الطفل في نهاية السنة الأولى وحتى السنة السادسة بميزة أطلقنا عليها مركزية الذات ، ويهمنا هنا أن نبين أن الأنانية (التي سوف تتضح في السنة الثالثة من العمر) تختلف عن (مركزية الذات) .

الأنانية تقوم على

١ ـ إدراك الذات .

٢ ـ إدراك الآخرين .

٣ ـ تغليب مصلحة الذات على مصلحة الآخرين .

مركزية الذات : لا يوجد هنا تصور واضح للآخر منفصلاً عن الذات ، ولهذا لا يمكن تسمية هذه الميزة باسم الأنانية .

غير أن التجارب التي أجريت على أطفال المرحلة تبين أن الطفل يُظهر أنانية واضحة ، فهو لا يبالي إلا بما يخصه ، وقد يبدي عواطف جامدة حول الآخرين ، وخاصة إذا كانوا ينافسونه مثل إخوته ورفاق الحي ، أو إذا كان مدللاً .

إن في الأنانية خطراً كبيراً على الطفل ، فهي تمنعه من الشعور بمشاعر الآخرين كما تحول دون اندماجه في المجتمع وإلى بقائه منفرداً ، فيخسر الكثير ظاناً أنه يربح . وأياً كان الأمر فإن بقاء الحال من المحال ، فالصغير سيدرك مع الأيام أنه (إذا ظل أنانياً لا يقدم أي عونٍ لأحد إخوته أو أترابه ولا يسمح لهم أن يلعبوا بألعابه حتى ولو راحوا يستأذنونه) ، فإنه سوف يُحرم من فرص كثيرة ، وقد يشتهي أن يلعب بلعبة أو أكثر

من ألعاب إخوته ، فلا يُسمح له بشيء .. بسبب أنانيته ، هذا الطفل ينفتح رويداً رويداً على الآخرين ، ويرى في النتيجة أن من مصلحته أن يحسب الحساب لمصلحة الآخرين . وإن هذا يتم بطريقة سهلة ومعتدلة ، إذا كان المشرف على تربيته يؤمن بالعدالة ، ويدربه عليها ، ولا يميز فرداً عن آخر .

وشيء آخر وهو أن وجود الطفل مع أطفال آخرين في الأسرة يساعده على مغادرة الأنانية وتجاوزها ، في حين أن الطفل الوحيد (الذي سنوضح حاله في دراسة متعمقة ضمن حلقة خاصة سنقدمها بمشيئة الله في المستقبل) هذا الطفل الوحيد يحرم من تجارب الاستفادة المذكورة هنا ، لأنه لا إخوة له ، ويظل يتطلب أن يكون مركز كل دائرة يكون فيها .

سابعاً ـ **الاجتماعية** : ونقصد بها نمو الميل الفطري إلى الآخرين ، وتحول هذا الميل من الاستعداد المبهم العام إلى الوعي الاجتماعي ، ويمر الطفل في تحقيق ذلك بالمراحل الآتية :

١ ـ يتكون الدافع الاجتماعي من الحياة اليومية مع الإخوة والرفقاء بالحضانة وبوجه خاص في الروضة .

٢ ـ ملاحظة جمال الحياة الاجتماعية في الروضة (أنس بالآخرين ـ غناء ـ قراءة جماعية ـ دعاء مشترك) .

٣ ـ تمييز الحياة الاجتماعية عن العزلة والأنانية (بطرق القصص حول الحيوانات والأطفال الأنانيين) إلخ .

٤ ـ ممارسة الأخذ والعطاء (الطعام المشترك والنزهات واللعب ضمن الفريق والمنافسة الشريفة كشد الحبل) إلخ .

ويقتضي هذا :

أ ـ الأمانة والمحافظة على أملاك الآخرين .

ب ـ الإخلاص والصدق والتعفف واحترام قواعد اللعب .

جـ ـ الصداقة ، وللصداقة حقوقها وامتيازاتها .

يرى الزائر الذي يزور إحدى حدائق (بكين) حجراً أثرياً حفرت عليه الجمل الآتية : (سعيد سعيد ذلك الذي يملك الصداقة ، فهو قادر بواسطتها أن يغادر ذاته ويدرك كل ما هو جميل ومحبوب في الآخرين) وبالمناسبة فإن تحصيل الميزة الاجتماعية ليس بالأمر السهل ، ولهذا تجد عدداً لا بأس به من الأطفال في كل جماعة ، ممن يظلون سجناء أنانيتهم (بسبب

التدليل المفرط الذي يعاملهم بـه آبـاؤهم أو بسبب حرمـانهم من مزايا الحياة الاجتماعية السوية) ، وفي كلا الحـالين يظل الطفل يحتـاج إلى مزيـد من الضبـط والعنـايـة ، وتراه يحسن الأخـذ ، ولا يحسن العطاء من النواحي المادية والمعنوية .

ومن المفيد هنا أن نعلم أن تجاوز الذات واكتساب الصداقة يمكن أن يتعمم فيصبح الناجح في المجتمع ناجحاً في معظم جهات حيـاتـه (في العلم والعمـل واللعب والمنـافسـة الشريفـة) ، لأن الاجتماعيـة تكسب المرء اليُسر في التعـامـل والرضى بـالربـح والخسـارة ، والتعود على الأخـذ والعطـاء ، في حين أن الانغلاق المفرط على الـذات يمكن أن يتحول إلى الشح والبخل الممقوت ، أو إلى حالة مرضية شاذة .

ثـامنـاً التقليـد : يميل الطفـل الـذي عـاش مـع غيره إلى محاكاة الآخرين والنهج على منهجهم ، ويبدأ التقليد عند أطفال المرحلة في سن الروضـة ، وحين يكتسب اللغـة (وهي نوع من التقليـد اللفظي) ويكتسب طرق الألعـاب (وهي نـوع من التقليـد الحركي) ، ويكتسب الاستمتـاع بـالمشـاركـة الغنـائيـة

(وهي نوع من التقليد الفني) نقول حين يكتسب الطفل هذه الأنواع من التقليد يصبح ذا شخصية غنية ، ويغدو مؤهلاً للنجاح في أيامه المستقبلية إثر الانتهاء من مرحلتي الحضانة والروضة .

تاسعاً التخيُّلية : بعد مطالعة الميزة الإحيائية التي عرفناها في مجال العقل نستطيع أن نتصور الميزة الخيالية أو المتخيلة في مجال العاطفة والحركة ، فلنذكر أن الصغير قبل السادسة لا يرى ما نراه نحن ، بل يحس أن البقع على البساط والستارة ليست مجرد بقع ، وإنما هي ألعاب وحيوانات ودراجات وأرانب .. إلخ ، والسحب أيضاً تتخذ شكل البقع فتتكون منها صور خيالية ممتعة بالطريقة نفسها .

إن المخيلة في الطفل تتغذى بحساسيته المرهفة وعواطفه المتفتحة ، فإذا مُنع عنها اللعب والتحرك ، فإنها تضطر إلى الانطواء على ذاتها ، وقد يؤول بها الأمر إلى حالات الوسواس والهستيريا (وهي أمراض نفسية يحسن الاطلاع عليها ومعرفتها ، ونرجو من الله العون فنقدم لها حلقة خاصة) .

عاشراً التحليل والتركيب : من الخطأ أن نظن أن موقف الطفل الصغير سلبي خالص ، فهو لا يكتفي بمشاهدة الأشياء ، بل يسعى ليبدل فيها فيفكك ويركب ، وإذا نظر الكبار إلى التفكيك والتركيب بمنظار المصلحة ظنوا أن الطفل يؤذي ويخرّب ، والحق أن حالات الأذى المتعمد قليلة ومحدودة وتصبح أذىً حقيقياً عندما يمنع كلياً من الحركة أو يعامل بالشدة المتطرفة ، ولكنه في الأحوال العادية لا يعد مؤذياً ، إن الطفل الذي يفكك الساعة لا يفعل ذلك بدافع الأذى، بل بدافع حب المعرفة ، فإذا شئنا أن لا يسبب الطفل لنا الخسارة ، فإن علينا أن نُبعد عنه الأشياء الثمينة ، ولا نكتفي بذلك بل نضع بين يديه أدوات رخيصة (كالساعات القديمة) أو أدوات تقوم أصلاً على التفكيك والتركيب (كألعاب الميكانو) وما يشبهها ، فيجد فيها طفل الحضانة والروضة ما يشبع نهمه إلى المعرفة والاطلاع ، وما يرضي عنده الرغبة بتكوين أشياء كالسيارات والمساكن والحدائق ... إلخ .

حادي عشر التقدير الجمالي : المرجح عند الصغار أن

ميولهم الجمالية ترجع إلى الفطرة وهكذا نراه يتابع ـ حتى في الشهور الأولى من عمره ـ الشمعة المشتعلة في الظلام ، ونراه يتولع بالألعاب في أثناء وجوده بالحضانة ، ثم بالصور المتعلقة بمناظر الطبيعة في الروضة وأنواع الطيور والفراشات ، وهو يولع بوجه خاص بالألعاب المتحركة كالسيارات والطائرات الهوائية والمعدنية ، وأنواع الكرة و (البالونات) .. إلخ ، كما يولع بالأصوات الندية وينام على صوت أمه والأصوات الموسيقية الهادئة .

ثاني عشر التقدير الديني : يُعد التقدير الديني اتجاهاً ومواقف تجاه الأشياء فحب الناس في الله ، والتواضع ، وحب الخير ، وتقديم المعونة والعطف على الضعيف ، والتماس العون من الله ، هذه الأمور لا تنفصل عن بعضها أو تتباعد ، وإذا قيل : إن الطفل في هذه المرحلة يعجز عن إدراك المعاني الدينية وتقديرها الدقيق قلنا :

١ ـ إن الطفل ـ كل طفل ـ أذكى مما نتصور ، وأقدر على الاستجابة والتجاوب مما نظن ، ويمكننا أن نسلك مع الصغير

هنا مسلكاً طبيعياً فننتقل من المحسوسات إلى المعقولات ، وهكذا تكفي مشاهدة الطفل أبويه يحترمان المعاني الدينية حتى تتكون مواقفه ، ولو بشكل غامض أول الأمر تجاه المقدس والحلال والحرام على طريقة أن البذرة هي أم الشجرة ، وستكون الشجرة طيبة كلما كانت البذرة وما يحيط بها طيباً .

٢ ـ ملحوظ دوماً أن أفعال الإنسان تساعد على تكوين شخصيته على طريقة أن ما نصنعه يصنعنا ، وأن أفعالنا تكوّن أفكارنا واتجاهاتنا ، فلنبدأ بالأفعال أولاً .

٣ ـ ويتأكد المنهج الثالث بملاحظة أن الطفل يميل إلى التقليد ، أي تقليد الكبار ، ومعروف أن التقليد لا يقتصر على أداء أفعال أو حركات ، وإنما يتضمن ميلاً عاطفياً إلى السلوك الذي يقوم بتقليده .

فحين يكون الكبار متدينين بصدق ، وحين يتميزون بالتسامح والتمسك بالدين الصحيح ، ويترفقون بالأولاد ، فإنك تجد النتائج إيجابية وعاطفية .

وهكذا فالأب المتدين بحق يُخلف أولاداً مثله أو أفضل منه ، والمجالات تتسع له كي يحقق ما يصبو إليه ، ففي الصلاة يجعل الوالد ابنه (ولو في الخامسة وما حولها)[1] على يمينه ، فيؤدي معه الصلاة بأسلوب محبب ، وحين ينتهي من الصلاة يأخذ رأس طفله إلى صدره فيدعو له بحرارة ، ويقوم بإكرامه وتشجيعه فيما بعد .

وفي الصيام كان أحد إخوتنا ونحن صغار يحتج إذا لم يوقظه أهله إلى السحور كما يفعلون مع الإخوة الأكبر منه .

وفي الصدقة أعرف أباً كان يتصدق وابنه معه في الطريق ، فيعطي ولده المبلغ الذي نوى تقديمه ، ويطلب منه أن يقدمه ، فما مضت فترة إلا وصار الطفل يذكّر أباه كلما شاهدا في الطريق من تجب مساعدته ، ومرّا به دون أن يقدم الأب له شيئاً !..

وهناك جوانب أخرى من السلوك الديني مثل عون

(١) بالطبع إن الإلزام يبدأ في السابعة وهذا لا يمنع من التدريب المسبق المحبب .

الكفيف على قطع الشارع ، ومساعدة من يقع على الأرض من الأطفال ، وتقديم العون للأم في البيت وللأب في حمل الأشياء والأمتعة ، وإماطة الأذى عن الطريق .. إلخ . والمهم أن يكون الأب ممن آمن ونفعه إيمانه حتى يدرك كل هذا ، ويذكر قول الرسول ﷺ : « لا يحقرن أحدكم شيئاً من الخير ولو أن يلقى أخاه بوجهٍ طلق » . وقوله : « ابتسامتك في وجه أخيك صدقة » .

وبالمناسبة يرتقي الأب بأطفاله ، كي يشكروا الله تعالى الذي أكرم البشر وأقامهم على فطرة طيبة نقية ، وأتاح للمؤمنين أن يهنؤوا بدين حلو يتجاوز الأفعال والأقوال ليصلوا إلى مراتب تصفية المشاعر وتفريغ التوترات في مواجهة الصعوبات ، والإحساس بالراحة في شعائر الصلاة والصيام والزكاة وغيرها ، مع إدراك أهمية التعاون مع أفراد المجتمع وسائر الناس إيثاراً وتعاملاً بالحسنى ، ونظافة وعفة ودماثة وأمانة ، وحثاً على طلب العلم ودفع الخرافة والاعتداد بالعمل .. وأن يتم كل ذلك في إطار من التواضع والشجاعة والإباء ، واحترام الآخرين ، وقبول أيّ حكمة أياً كان مصدرها أو القائلون بها .

الفصل الثاني

علم نفس الطفولة

علم نفس الطفولة

لكي نسير على هدًى في تقصي الحقائق حول الصحة النفسية للأطفال ، يلزمنا أن نتبع منهجاً علمياً وتجريبياً كالمنهج العلمي الذي تسير عليه مختلف الدراسات (إنسانية كانت أم مادية) .

فهذا المنهج منطقي وأساسي ، ولا بد منه من أجل تحصيل نتائج دقيقة يمكن الاطمئنان إليها والوثوق بصحتها .

ويقوم منهجنا في دراسة الطفولة على ناحيتين اثنتين :

أولاً : ناحية نظرية تتناول أهمية دراسة علم نفس الأطفال .

ثانياً : ناحية عملية تتناول :

أولاً ـ الناحية النظرية

تتيح لنا دراسة الأطفال علمياً أن نطلع على أمور هامة أظهرها :

أ ـ الكشف عن مظاهر السلوك النفسي .

ب ـ الكشف عن العلاقات الجسدية ـ النفسية (أو الوظائف البيولوجية النفسية) .

جـ ـ الكشف عن المراحل التكوينية للنمو النفسي ـ الاجتماعي .

د ـ الكشف عن أساس هام من أسس علم النفس المقارن .

أ ـ مظاهر السلوك النفسي

الملحوظ أن سلوك الأطفال يخلو من التعقيد والإبهام أو الغموض الذي يتسم به سلوك الراشدين ، إن الطفل لم يتعرف بعد إلى الجماعة (إلا قليلاً) ، ولم يكتسب طرائق إخفاء المشاعر وتزيينها ، لهذا نستطيع إلى حد بعيد أن نستفيد من امتياز البساطة التي نواجهها بشكل جلي في دراسة نفسية الأطفال ، وطبيعي أن الطفل إذا انفعل تمكنا من معرفة انفعاله ، فإذا خاف أو غضب أو فرح ، فإنه قلما يخفي أشكال انفعاله أو أسبابه ، وهكذا فإن استجابات الأطفال على المؤثرات

استجابات مباشرة في الغالب تتسع فيها دائرة الفطرة وتضيق دائرة الاكتساب .

وهكذا تتيح لنا دراسة نفسية الأطفال أن نشاهد السلوك النفسي في أبسط صوره وأيسرها وضوحاً وأكثرها جلاءً وصحة .

ب ـ الكشف عن العلاقات والرّوابط البيولوجية ـ النفسية :

طبيعي أن نتصور كون النواحي العضوية هي الغالبة على الطفل ، أما الوظائف النفسية فإنها بسبيل التكون والنمو ، وهكذا فإن الطفل ـ كما شاهدنا أكثر من مرة ـ هو مجموعة من الطاقات العضوية أو الاستعدادات الجسدية التي تُحاط بقوالب نفسية ، وهكذا تتراكم ـ عند الصغير ـ ظاهرات الشعور والفهم متوازية مع تعقد أو نمو الجملة العصبية في مراكز الدماغ أو الأعصاب وغيرهما . إن ملاحظة الأطفال ودراسة مواقفهم وتحركاتهم يوماً بعد يوم ، أو شهراً بعد شهر(١) تسمحان

(١) وسنقوم عملياً في هذه الدراسة في جانب هام سنأتي عليه بمشيئة الله .

لنـا أن نشـاهـد التطـور النفسي واضحـاً مـع التطـور الحركي (العضلي والغددي والعصبي) .

جـ ـ المراحل التكوينية في النمو النفسي ـ الاجتماعي :

تعطينا سيكولوجية الراشدين مقاطع عرضانية للحياة النفسية ، أما دراسة نفسية الأطفال فتمنحنا مقاطع طولانية للنمو النفسي ، وبعبارة أخرى فإن علم نفس الراشدين يتيح لنا معرفة الوظائف والظواهر النفسية المستقرة (نسبياً) بصورها الكاملة أو المتكاملة ، بينما نتمكن في علم نفس الأطفال أن نعرف الوظائف والظواهر في مسارها الحي المتنامي .

إن دراسة نفسية الراشدين دراسة سكونية statique صلبة ، تقوم على تحديد الوظائف وانتزاعها من مجراها المتنامي ، ومن علاقاتها المتداخلة ، وذلك على تحديد الوظائف والكشف عنها .

أما دراسة نفسية الأطفال فهي دراسة ديناميكية Dynamique وتقوم على مواكبة السير لمتابعة تكون الوظائف ونموها وبيان العوامل المؤثرة في هذا النمو .

فمثلاً يدرس علم نفس الراشدين تفكير الإنسان الراشد ويكشف عن قوانين الفكر الإنساني ومبادئه في سبيل إنشاء صورة للفكر السوي .

أما علم نفس الأطفال ، فيتناول بالدراسة ولادة التفكير لدى الطفل وبزوغ الذكاء فيه من خلال نموه الاجتماعي ، ومواقفه تجاه أمه مثلاً وإخوته والأطفال الآخرين ، كما يتناول الأزمات أو الصعوبات التي تواجه الطفل في تطوره .

وهكذا فإن علم نفس الطفل يهبنا علماً بالسابق واللاحق من الوظائف ، ويوضح العلائق بينها ، سعياً وراء التعليل أو معرفة العلة والمعلول ، بينما يقوم علم نفس الراشدين بهذه الناحية في شكل مضمر ومحدود نظراً لتكون الظواهر عندهم .

مثال آخر : إن دراسة الأطفال تطلعنا على مراحل تكون الألفاظ عند الطفل ، كما تبين مراحل الذكاء عنده ، ومراحل اندماج الصغير في المجتمع المحيط به ، ومن ثم بيان دور المجتمع في تكوُّن الألفاظ ونمو الذكاء .

د ـ الدراسات المقارنة

يتيح لنا علم نفس الأطفال إقامة الموازنات أو المقارنات بين نواحٍ متعددة من السلوك النفسي للإنسان ومنها :

ـ دراسة الشخصية في المراحل المختلفة للنمو .

ـ دراسة الحياة الانفعالية في المراحل المختلفة للنمو .

ـ دراسة الإبداع في المراحل المختلفة للنمو .

ـ دراسة الاسترخاء والراحة والتعب ومقاومة الصعوبات في المراحل المختلفة للنمو .

ثانياً ـ النواحي العملية لدراسة نفسية الأطفال :

وهي كثيرة أهمها الخدمات وهي :

أ ـ الخدمات الطبية .

ب ـ خدمات التربية والتعليم .

جـ ـ الخدمات المهنية .

أ ـ الخدمات الطبية :

وتتناول مجالات عملية واسعة لعل أهم ما فيها :

ا ـ الصحة النفسية .

٢ ـ الانحرافات النفسية .

٣ ـ الطب النفسي .

١ ـ الصحة النفسية : وقد شاهدناها سابقاً في الحلقة الأولى والثانية من سلسلة الصحة النفسية نلخصّ أهمها ؛ تكون الصحة النفسية للإنسان في الحالات الآتية :

أ ـ توافق الوظائف النفسية وتماسكها والمراد نحوها .

ب ـ مقاومة الصعوبات النفسية .

جـ ـ الإحساس بالعافية (أي الطمأنينة ـ والرضى) وما إليهما .

الانحرافات النفسية

(فرويد ـ آدلر)

٢ ـ الانحرافات النفسية : وتقوم على تصنيف وتدرج الانحراف النفسي .

وقد اشتهر التصنيف الآتي ابتداء بالبسيط وانتهاء بالمركّب ، على الشكل الآتي :

يكون السلوك المتفرد حين يشذ أحدهم عن مجموعته أو عما

حـولـه ، فيسلـك طريقـاً غير مقبـول أو مستهجن على طريقـة (خالف تُعرف) مثل حب العزلة والنفور من النـاس أو الشعور بالاضطهاد دون سبب حقيقي .

السلوك المشكل : ويـؤلف درجـة أصعب كما لـو تضـاعفت حالته الإشكالية ، وفيه يقاوم المرء نفسه كما يقاوم غيره ، فيصنع ما يمقته قومه ، أو ما لا يقبله أحد .

المشكلـة السلوكيـة : مثل التبول الليلي ـ الخوف غير المبرر من الأشباح ، أو الصعود إلى علٍ ، أو خشية التسمم .

التمرد : ويتـوجـه إلى تعـذيب الآخرين ومقـاومتهم ، كما يتوجه صوب تعذيب الذات أو تدميرها .

المرض النفسي : كالوسـواس والهستيريـا (السلـوك القلـق وعدم الطمأنينة) .

المرض العقلي : كالفصام (ازدواج الشخصية) والبـارانويـا (أو الشعور بالعظمة والاضطهاد) ، وتستمر الحـالات المـدرجـة أعلاه في الهبوط حتى تنتهي بالأمراض العقلية .

٣ ـ الطب النفسي : ويقوم على المعالجة والتماس الشفاء ومقاومة الاضطرابات النفسية ، ومحاولة إرجاع المصاب بعقله إلى السواء والحياة السوية .

ويُلاحظ التداخل بين الأمراض النفسية والأمراض العقلية ، ومن الطريف أن نحدد الفروق بينهما على الشكل الآتي بالمعادلة :

٥ + ٥ = ؟ ما ندري عند المصابين بالمرض العقلي .

٥ + ٥ = ١٠ تساوي عشرة ولكني غير مرتاح لهذا عند المصابين بالمرض النفسي .

وقد ظهرت في الآونة الأخيرة بعد الحرب العالمية الثانية حركة طبية أطلق عليها اسم الطب الجسدي ـ النفسي (سيكوسوماتيك) وتقوم هذه الحركة على مبدأ قوامه : إن كثيراً من الأمراض التي تظهر وكأنها أمراض عضوية إلا أنها ترجع في جذورها وأصولها إلى أسباب نفسية وذلك :

كأمراض الربو ، وأمراض القرحة ، وأمراض ارتفاع

الضغط الجوهري ، مرض القلب الإكليلي ، السمنـة ، بعض أنواع السرطان[(١)] .

وقد اشتهرت في ميدان الطب النفسي اتجاهات نذكر منهـا أهمها :

دراسات فرويد   دراسات آدلر

فرويد زعيم التحليل النفسي Psyhanalyse

ويُعزى إليـه اكتشـاف اللاشعور أو العقـل البـاطني ، كان فرويد في الأصل طبيباً عصبياً ، يتنـاول بـالـدراسـة والمعـالجـة مشكلات الانحراف العقلي ، ثم تطورت أبحـاثـه فـاتجهت صوب علم النفس ، وقد غلبت على أبحـاثـه المشـاهـد العصبيـة التي كان يعالجها مع صديقه (شاركو) ، وكان قد لاحظ أن جميع المرضى الـذين يعـالجهم مصـابـون بـاضطراب جنسي بشكل واضـح ، فاستخلص من هذه الملاحظات أن الإنسان غير المريض سوي في

(١) يُراجـع في هـذه المجـالات قراءة في كتـاب (الحب والطب والمعجـزات) للمؤلف بيرني سايغل ، إعداد عدنان السبيعي وبشار بيطار .

حياته الجنسية مثلما تبين أن المرضى العصابيين غير أسوياء جنسياً ، وهكذا وضع فرضيته المشهورة القائلة إن سلوك الإنسان يتأثر بطفولته (وبالسنوات الخمس الأولى على الخصوص)[١] ، وإن الجنسية (وإن كانت لا تظهر في الطفولة) إلا أنها تؤثر كمرجعية أساسية ، وأهم ما يؤدي إلى الانحراف هو الكبت ، وعلى هذا فإن حياة الإنسان يمكن اختصارها بـ :

الطفولة ـ الجنس ـ الكبت

ويختصر فرويد هذا الثالوث بالجنس .

فالجنس في منظور فرويد يستغرق ويوجه حياة البشر أياً كانوا ، أو أياً كانت حالاتهم في المرض أو السواء .

● وهكذا يُعتبر (فرويد) مفكراً فلسفياً أكثر مما يُعد عالماً (لأن الفلسفة تقوم على تفسير كل شيء بشيء واحد بالاستنتاج) في حين أن العلم يسعى ليعرف سبب كل حادثة على حدة بالاستقراء .

(١) وهي السنوات التي تدور حولها أبحاث هذه الحلقة .

• أضف إلى ما سبق أن (فرويد) كان صلفاً ، ولا يقبل مناقشة أحد أو اعتراضه ولذلك اختلف معه كل من (آدلر) و (يونغ) و (شتيكل) وكانوا من أتباعه أولاً فانصرفوا عنه .

• وفوق هذا وذاك فإن (فرويد) كان مولعاً بوضع الفرضيات ، وبدلاً من أن يتحقق منها ، كان يستخلص منها النتائج التي تروق له فيبنيها عليها .

(فرويد في اتجاه ، وأنا في اتجاه آخر ، ولن نلتقي بعد اليوم) . هذا ما أعلنه (آدلر) في جمع حاشد من العلماء والباحثين ثم انصرف عنه بالفعل .

آدلر Adler **زعيم علم النفس التحليلي** Psychologie analytique

يرى ألفرد آدلر أن اتصال الإنسان بالحياة والمجتمع يقوم على دعائم ثلاث :

١ ـ العمل .

٢ ـ الحب .

٣ ـ العلاقات الاجتماعية .

هذه هي وظائف الإنسان ومهامه ، فإن كان يسير فيها مطمئناً ومثمراً كان إنساناً سوياً ، وإلا فإنه لا ينجو حين تنقصه إحدى هذه الوظائف ، أو يفتقر فيها من أن يكون عرضة للشعور بالنقص ، وبالتالي لمعاناة الصراع والاعتلال أو المرض ، ومن هنا فإن (آدلر) يرى أن الطريقة المثلى التي يجب أن تتبع مع الأطفال (وخاصة أطفال المرحلة دون السادسة) هي أن نتفهمهم ونعاملهم بإعزاز وتقدير لطفولتهم دون إفراط أو تفريط ، إن احترامنا للطفل ليس مثل احترام الجندي للضابط ، وإنما هو احترام للقدرات والإمكانيات التي ينطوي عليها وجوده في المستقبل ، والآمال التي تُعقد عليه .

إن الطفل في نظر (آدلر) شديد الشعور بذاته شديد الاعتداد بنفسه ، وما لم يتوفر له الاهتمام والتقدير عن طريق طبيعي ، فإنه لا بد أن يفرض نفسه بطريق منحرف تعويضي ، والتعويض إذا تم وأشبع سيؤدي بالطفل إلى التفوق (فتتحول عقدة النقص إلى عقدة التعالي) مثل تعويض (هيلين كيلر)

التي كانت صماء عمياء بكماء في السنوات الأولى من عمرها ، فحولت همّها وغمها إلى همة لا تُبارى ، فأصبحت أستاذة جامعية تسمع بأصابعها ما يقال (وذلك بوضع كفها على رقبة المتكلم) ثم غدت تعلّم المبصرين كيف يبصرون ، والسامعين كيف يستمعون ، فتلقي المحاضرات ، وتؤلف الكتب ، وتنير بروحيتها طرق الناس .

أما إذا لم يُشبع النقص فلا يجمد صاحبه ، بل تراه يعوِّض عن نقصه بطريق شاذة ملتوية كالقسوة والتسلط والتحكُم عند ضعفاء البنية ، أو بالادعاء الفارغ والكبرياء عند المنكمشين القلقين ، وإن لم يوفَّق في هذا وذاك اعتزل الإنسان وتوارى عن مجتمعه ، وبدلاً من أن يحقق أهدافه في الواقع ، اعتكف في داخله ، يحيا أوهامه ، وخلال ضباب خياله ، أو قد ينقضُّ على مجتمعه الذي تنكّر له ، أو ينقضُّ على ذاته فيدمرها .

الخلاصة : إن تفهم الأطفال يساعدنا على :

١ ـ معرفة طرائق استجاباتهم في الحياة .

٢ ـ تقديم المعونة لهم كي يحسنوا إعانة أنفسهم وإنقاذ ذاتهم .

٣ ـ العمل على تنمية مواهبهم وتحقيقها بالأساليب والطرق النافعة .

وهكذا تعلمنا سيكولوجية الأطفال أن الصحة العقلية ليست فقط خلواً من الاضطرابات ، وإنما هي شيء إيجابي ، إنها استمرار التوافق والتكيف ، لمجابهة ما يطرأ على الطفل من أسباب النقص ، ومن أجل بناء ذات ممتلئة بالثقة والرضى والسكينة .

والشيء الجديد عند (آدلر) أنه أول من صنع عيادة نفسية على غرار العيادات الطبية المعروفة ، فكان أدنى إلى العلم وأبعد من فرويد المتفلسف .

الصحة النفسية والتعليم

لقد أفادنا علم نفس الطفولة فوائد جمة لعل أهمها :

أن ننظر إلى الطفل كما هو لا كما نتصور

إن معظم الناس ينسون أنفسهم حين كانوا أطفالاً ، ولذلك تراهم يريدون أن يكبّروا الصغار ، ويختصروا طفولتهم ، ويعاملوهم وكأنهم راشدون صغار ، أو كأن الطفولة نقص أو مرض يجب الإسراع بمكافحته وإنقاذ الأطفال منه .

وهكذا تحولت جهود المربين من العناية بالعلم إلى العناية بالمتعلِّم ، وطبيعي أن العلم شيء هام ، ولكن إيصاله إلى الصغار يجب ألاّ يتجاوز قدراتهم وميولهم .

وهكذا فبدلاً من التربية بالإكراه أو التشدد والتعسف ، قامت المدارس الحديثة (بتأثير تقدم علم النفس أولاً ثم علم نفس الطفولة) على أسس جديدة أهمها :

١ ـ حين نتعهد الأطفال ونربيهم لا نستهدف إنقاذهم من نقص الطفولة ؛ فالطفولة مرحلة ضرورية ، إنها باب للرشد ، ولا بد لكل طفل أن يحيا حياته كطفل ، ونحن إذ نعاملهم كالكبار ينشؤون في كبرهم بسطاء متواضعين كالصغار .

٢ ـ وهكذا أخذت سيكولوجية الأطفال تعلّمنا كيف نقدر الطفولة ونعدها غايةً في ذاتها ، وهكذا أصبحنا نسمع أن المدرسة للطفل وليس الطفل للمدرسة .

٣ ـ لما كان اللعب سبيلاً إلى النمو ، فلماذا لا نجعل التعليم بهيجاً كاللعب ؟؟ ولماذا لا تكون خصائص الأطفال في كل مرحلة ، هي التي ترشدنا لنعرف كيف نتعلّم وماذا نعلم ؟؟.

٤ ـ وهكذا تحولت التربية من الاهتمام بالتلقين إلى الاهتمام بفهم المتعلم وإدراكه .

٥ ـ وأدى ذلك إلى أن يصبح التعليم فردياً في المبدأ ، اجتماعياً في الغاية ، فيمنح كل طفل ما يستطيعه كي تُنمى استطاعته .

٦ ـ وبذلك غدا تقسيم التلاميذ (في الروضة وما بعدها) يقوم على أساس اختبارات الذكاء والشخصية ، فيوضع الأذكياء المتفوقون مع الأذكياء المتفوقين ، ويوضع المتوسطون مع المتوسطين وهكذا ، وبذلك تحول دون الشعور بالنقص (الذي يحس به طفل متوسط أو ضعيف الذكاء) حينما يوضع في صف معظمه متفوقون .

٧ ـ وصارت مشكلة تعليم المعلمين أو تربية المربين وتأهيلهم مشكلةً هامة وذلك كي يتمكن المعلمون من إدراك مهمتهم والنجاح في مهماتهم وتحقيق ما يُطلب منهم .

من أجل التوجيه المدرسي واللغوي والمهني

إذا صحت الفرضية القائلة : إن السنوات الخمس الأولى هي الأساس الذي تبنى فوقه شخصية الإنسان ، وهي على الأرجح صحيحة ، فإن العلماء والمربين يرون أن تُرصد ملامح السلوك الطفولي خلال هذه السنوات من أجل معرفة الأمور التي تُميز الطفل فيتفوق فيها ويتألق ، ومعرفة الأمور التي لا يميل إليها أو لا يصلح لها .

هذا الطفل رياضي في شكله وبنيته وحركاته ، وذاك يحب الحديث ، والثالث خجول متهيب ، والرابع يحب الرسم .. إلخ ، ومن المفيد للطفل والمجتمع أن يُوجه الرياضي صوب الرياضة ، والمتحدث صوب الأدب ، والخجول نحو الأعمال الهادئة مثل إصلاح الساعات .. وهكذا يُوجه كل واحد منذ الطفولة ليحقق الدراسات والأعمال التي تساير تكوينه وحاجاته وتتفق مع ميوله وولعه .

لكن الإنسان في السنوات الأولى قد لا يُترجم بالدقة ، ولا يُظهر حقيقة إمكانياته بسهولة ، إلا أن في وسع المربين أن يتلمسوا الخيوط الأولى لفجر وصباح من يرونه أمامهم على طريقة (إن المكتوب يظهر من عنوانه) . وبعبارة أخرى نقول : قد لا تكون المشاهدات والملاحظات التي نقوم بها كافية لرسم شخصيته المستقبلية إذ قد يتحول الطفل نفسه مع الأيام فينمي نواحي لم تكن بيّنة فيه أو يطمس أخرى ، ظناً منا أنها مميزة له ، كل هذا صحيح ومع ذلك ، فمن المفيد أن يَستأنس مربو المراحل القادمة بما لوحظ في المراحل الأولى ، فيضموا ما يلاحظونه بدورهم إلى ما سبق ، ويقدموا لخبراء التوجيه الملامح التطورية لكل طفل .

الإجراءات التعليمية

تخصص الروضة الراقية إضبارة خاصة لكل طفل تُسجل فيها المشاهدات المباشرة له منذ أن يدخل إلى الروضة ، فتُوضح الأمور الآتية :

١ ـ كيف دخل الروضة (بإقبال ، أو إهمال ، أو انكماش أو بكاء ... إلخ) .

٢ ـ يُسجل سلوكه التالي أولاً بأول ، وتُشرح اجتماعيتّه ومرحه وتردده واكتئابه واستمرار بكائه .

٣ ـ تُسجل النواحي التي تحرّض اهتماماته ومقلقاته ، وتأثير التشجيع ومسايرة الأقران فيه .

٤ ـ تتوفر في كل روضة راقية مجالات كثيرة (كالمسبح والمطبخ وأدوات الرسم والنجارة وتصليح الآلات) إلخ .

٥ ـ يُشاهد كل طفل في توجُهه نحو هذا المجال أو ذاك وتحدد ساعات بقائه فيه بحريته والأسئلة التي يطرحها .. واستجاباته لكل التوجيهات التي تُقدم له (بشكل مختصر) .

٦ ـ لا تكتفي المربيات بإلقاء ملاحظات سريعة عابرة ، بل تسعى لتتثبت مما تلاحظه ، وتربط مشاهداتها مع ما ورد من أوصاف أعمال أسرته وأفرادها الواردة في استمارة الانتساب لكل طفل ، وتُسجل توقعاتها واحتمالات .. إلخ .

٧ ـ نرسل نسخة من هذه الإضبارة إلى الأسرة لتقدمها إلى المدرسة الابتدائية فيما بعد .

وعلى ضوء ما تقدم تُطرح لهيئات التوجيه المهني الملامح (Profile) المميزة لكل طفل .

والجدير بالذكر هنا أن المختصين في شؤون التوجيه يميزون بين أمرين هامين التوجيه (المدرسي والمهني) ، **والاصطفاء** .

فالتوجيه يقوم على معرفة إمكانيات الفرد ، وهدفه خدمة الفرد وضمان سعادته .

أما **الاصطفاء** فيقوم على تحديد خصائص كل مهنة ، ووضع معايير يُختار بموجبها الأفراد الملائمون لهذه المهنة أو تلك ، والهدف هنا خدمة المهنة والسعي لتنميتها .

ولعلنا لا نبالغ إذ نقول : إنها ثمار يانعة ، تلك التي سنجنيها بفضل التوجيه (في شكليه : المدرسي والمهني) فنضع كل فرد في الموضع الذي يضمن له حياة متفتحة وناضرة ، ونهيئ لكل مهنة الأفراد الذين يصلحون لها من أجل ازدهارها ونموها ، إن التوجيه قادر على أن ينمي في كل إنسان فضائل الإتقان ، وأن يضخم في نفسية كل فرد ، الشعور بالسعادة في

القيام بالواجبات ، ومن أجل تحقيق المساواة والعدالة ، تلك المساواة التي تجعل الديمقراطية من دونها وهماً من الأوهام الخطيرة .

محاولة لغوية جديدة

ومن أجل خدمة اللغة العربية الفصحى هناك محاولة تقوم في سورية وتنهض على أفعال هدفها تعليم الأطفال العربية الفصحى منذ ولادة الأطفال ، وقد شهدتُ بالفعل أطفالاً تقع أعمارهم بين الثالثة ـ والخامسة يتحدثون في روضتهم بالفصحى ويتعاملون بها . وتُعتبر هذه المحاولة ـ التي مركزها حرستا القريبة من دمشق محاولةً رائدة يتم فيها خدمة أغراضٍ حضارية رائعة لأمتنا ، تتم فيها سيادة الفصحى في أقطار العروبة ، تعلو على اللهجات العامية ـ الإقليمية التي يمجدها أعداء العربية والإسلام .

والمهم في هذه المحاولة تطوير هذا العمل ودراسة صعوباته ومشكلاته وتهيئة الظروف التي تعين على تحقيق أهدافه ، ونرى أن على الأرجح في هذه الظروف تهيئة مدرسين ومعلمين يؤمنون

بالفكرة ويعملون على إنجاحها ، كما نرى أنه في حال نجاح هذه المحاولة ـ وهي ناجحة من كل بد ـ ينبغي الوصول إلى قرار سياسي في بلاد العروبة ، يتخذ المبدأ والأسلوب والأغراض التي أشرنا إليها .

ولدينا ملاحظتان اثنتان **أولاهما** أن الفرقان كتاب الله تعالى الذي تعهّد الخالق بحفظه ، يعد نقطة الزاوية في الموضوع ، والأساس المكين لمثل هذه المحاولات الكريمة .

والثانية علينا أن نذكر أن هيرتزل الذي أنشأ الدولة العبرية في نهاية القرن التاسع عشر قد حقق تجمع اليهود مستنداً إلى اللغة العبرية التي أحيوها ، فجمعت فلول اليهود من أطراف العالم وتجاوزوا بها عوامل الفروق المتباعدة .

دراسة حول الصحة النفسية

للأمهات العاملات

قد يصعب علينا في عجالة كهذه أن نتقصى نفسية الأمهات الوالدات ، والأمر يقتضي منا دراسة شاملة لطبيعة الأمومة ومشكلاتها ، ونرجو أن نقدم لها دراسة مستقلة في حلقة خاصة إن شاء الله .

ونكتفي الآن بمواجهة (مشكلة الجمع أو التنسيق بين عمل الأم خارج المنزل وواجباتها تجاه وليدها الرضيع) .

ونلخص هذه المشكلة بالصورة الآتية ثمة خياران اثنان أمام الأم الوالدة :

١ ـ المحافظة على العمل الذي يدر راتباً ذا أهمية لها أو لأسرتها .

٢ ـ ضمان حاجة المولود الرضيع إلى (الإحساس بالأمان) قريباً من أمه .

وثمة إجابتان اثنتان لهذه المشكلة :

الإجابة الأولى :

وهي إجابة الماديين الذين يهمهم من عمل الأم ما تتقاضاه فيحلّونه منذ أن تحس الوالدة بالراحة من المخاض أو بُعيد أيام أو أسابيع بعد الولادة .

يقول هؤلاء إننا نحل كل إشكال إذا نحن حددنا حاجات المولود وضمنا إشباعها .

والسؤال الهام إذن هو : ما هي هذه الحاجات ؟؟
يجيبون عن هذا السؤال بقولهم :
إنها التغذية ، النظافة ، النوم والراحة ، الصحة ، واللعب .

أما **التغذية** فيمكن أن تتم بالرضاع الاصطناعي عن طريق (زجاجة الرضاع) أياً كان القائم بهذا الرضاع .

وأما النظافة فأمرها أيسر ويمكن تأمينها على أيدي أناس يعملون عمل الوالدات .

النوم والراحة يمكن الحصول عليهما من أجل الطفل بإشراف أي كان من الناس .

الصحة : وهي من شؤون الأطباء والمساعدات الصحيات ، وأما اللعب فما أيسر أن تقوم به المربيات ، وهكذا فإن الذين يميلون إلى هذا الاتجاه المادي ينتمون إلى ما يسمى (بنظام الحداثة) وهو النظام الذي ينتصر للربح والكسب .. ودفع المرأة نحو مزيد من العمل والربح خارج البيت .

الإجابة الثانية

وهي إجابة التربويين النفسيين الذين يرون أن المولود شديد الارتباط بأمه ، إنه ليس فقط جزءاً من عواطف أمه بل هو يؤلف مع أمه كياناً متكاملاً موحداً لا ينفصم ، وتقع العاطفة في مركزه ، وتدور حول هذه العاطفة حاجات نفسية شديدة الأهمية لا تبالي بها الإجابة المادية .

يقول علماء النفس إن حياة الأم منذ أن تضع وليدها لم تعد ملكاً لها ، بل غدت ملكاً لمولودها الذي :

١ ـ طالما حلمتْ به .

٢ ـ وطالما احتاج إليها .

٣ ـ ويعجز أي إنسان أو أي كائن آخر عن الوفاء بحاجاته النفسية .

٤ ـ تلك الحاجات التي تتجاوز المطعم والمشرب والدواء .

٥ ـ إنها حاجات لا تُوزن بميزان ، ولا تُحصى بتعداد ، ولا يصنعها الدواء .

٦ ـ أوجدتها رحمة الله وأودعتها في أرحام الأمهات .

كي يبقى الإنسان يحيا بالروح « تهيمن على الجسد وتسمو به » ، وكما أن فاقد الشيء لا يعطيه ، فإن الغذاء المادي والنوم والدواء أمور لا تكفي كي تصنع شيئاً في تحقيق المستلزمات النفسية للإنسان عامة والمواليد بوجهٍ خاص وهي إشاعة الأمان وضمان الطمأنينة .

وهكذا ينبغي أن نعلم أن الإنسان :

١ ـ ليس مجرد معدة يجب ملؤها .
٢ ـ ولا مجرد جلد يجب تنظيفه .
٣ ـ والذي يدعوه إلى النوم ليس سريره .
٤ ـ أما الدواء فيعيد التوازن(١) إذا فُقد التوازن .
٥ ـ ولا يتدخل في قضية السلام إلا قليلاً .
٦ ـ والمولود الإنساني ليس حيواناً أليفاً .

وإنما هو حامل أمانة(٢)

وستنتفع الأمهات اللواتي يؤثرن العمل من أجل الراتب من مطالعة بعض علماء النفس نذكر بها بادئين بتجربة فذة ذكرها التاريخ وتمت على أيدي فريديريك الثاني .

---

(١) وإذا كان صالحاً ، يقول أحدهم : إن السعادة ليست الأسبرين وإن كان الأسبرين ضرورياً عند الحاجة إليه .

(٢) ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبيْن أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾ [الأحزاب : ٧٢/٣٣] .
وحاملو الأمانة هم الذكر والأنثى من البشر آباء وأمهات وأبناء وبنات بعضهم من بعض .

تجربة فريديريك الثاني

لم يكن هذا القيصر باحثاً نفسياً ، ولم يفكر بأن يُعنى كما لم تخطر في باله مشكلة نفسية ، ولكنه كان مدفوعاً بأهداف أخرى ، كانت الفكرة الرئيسية التي أقلقت هذا الحاكم معرفة اللغة الفطرية التي فطر الله الناس عليها في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة هل هي العبرية كما تقول التوراة أم العربية ، كما أثرت عند الفقهاء المسلمين[١] ، أم ماذا ؟؟..

وتحقيقاً لذلك استحضر (فريديريك) مجموعة مواليد إثر ولادتهم مباشرة وأمر المربيات اللواتي يقمن بتربيهن ألا يتفوهن بكلمة أمام المواليد ، وألا تبدر منهن أي بادرة اتصال كالمناغاة والتشجيع ، أو الميل أو التدليل .. فماذا كانت النتيجة ؟؟ بدأ التراجع الصحي مع الانكماش يتجلى ثم يستولي على الصغار وأخذوا يموتون الواحد بعد الآخر ، وعلى الرغم من أن تغذيتهم

(١) كان فريديريك الثاني معجباً بالحضارة الإسلامية ، وكان حكمه في صقيلة في القرن الثالث عشر الميلادي إثر خروج المسلمين منها ، وكان يحيط نفسه بعلماء منهم يستمع إليهم ويتعلم منهم ويحميهم .

ورعـايتهم الجسـديـة كانت ممتـازة فقـد مـات آخرهم قبل أن يتم السنة السادسة .

يستخلص العلماء من هذه الواقعة أموراً عديدة أظهرها :

١ ـ أن الإنسان لا يحيا بالغذاء وحده .
٢ ـ ليس صغار البشر حيوانات يكفيها الغذاء والدفء .
٣ ـ لا غنى للإنسـان وللطفل بـوجـه خـاص عن اتصـالات لغوية تساعد على النمو النفسي .
٤ ـ قد يبدو أن المناغاة والابتسام والتصبي[1] والتشجيع من الأمور الكماليـة والثـانويـة ، ولكن غيـاب هـذه الأمور ، جعل المواليد لا يشعرون بالحـاجـة إلى البقـاء ، ولم يجـدوا مـا يبرر لهم متابعة الحياة .

دراسة بولبي :

كان هـذا العـالم النفسي طبيبـاً ، وقـد كلفتـه حكومـة (إنكلترا) بأن يشرف على حياة مجموعة أطفال عُزلوا عن أمهـاتهم

(١) فلنذكر قوله ﷺ : « من كان عنده صبي فليتصاب له » .

وأخذوا بعيداً عن الغارات الجوية الألمانية التي كانت تضرب لندن خلال الحرب العالمية الثانية ، رافق (بولبي) هؤلاء الأطفال زماناً طويلاً ، ومضى يلاحظ مواقفهم الصحية والنفسية ويتابع حياتهم . فاكتشف أن سلوك هؤلاء النازحين الأطفال كان يتسم بالوحشة ، وأنهم يعجزون عن عقد صداقات مع الآخرين ، ولم يرغبوا بمحبة أحد أو تلقي محبة أحد ، وبالعكس ظهرت لديهم (بسبب غيابهم عن أمهاتهم) ميول عدوانية صريحة ، وكانوا أعصى على الشفاء (حين يمرضون) وأظهروا انحرافاً يفوق انحراف الجانحين والمشكلين .

سبيتز Spitze :

درس نفسية أطفال المياتم واللقطاء في بيوت الرضاع ، فوجد أن معظمهم معوقين عقلياً أو اجتماعياً أو انفعالياً .

غولد فارب Gold Farb :

قارن مجموعة مواليد اختارهم بصورة عشوائية . فأخذ المجموعة الأولى بعيداً عن أمهاتها بشكل مباشر إثر الولادة .

وأخذ المجموعة الثانية بعد انقضاء ٤٠ يوماً من الحياة مع أمهاتها .

والمجموعة الثالثة بعد انقضاء ٨٠ يوماً ، بمجموعات أخرى عاشت أكثر فأكثر مع أمهاتها حتى بلغت السنتين .

فلاحظ أن المواليد الذين أبعدوا عن أمهاتهم (اللائي ولدنهم) بصورة مباشرة يتميزون بمتوسط ذكاء أدنى ، ومبادهة أقل ، وعدوانية أكثر .

كما لاحظ أن هذه الوظائف النفسية (من ذكاء ...) تتزايد بمقدار تزايد الفترة في انفصال المواليد عن أمهاتهم .

وإن الذكاء والمبادهة (أو الجرأة) تكون في أحسن درجاتها مع عدوانية أقل عند المواليد الذين عاشوا مع أمهاتهم بمقدار السنتين .

وفي حالات الضرورة

وحين تكون الأم مضطرة للعمل فإن من حق الطفل على أمه بضعة أمور أهمها :

١ ـ ألاّ تبتعد عنه خلال الشهر الأول مهما تكن الظروف .

٢ ـ بعد انقضاء الشهر الأول يمكن أن تغيب عنه في فترة واحدة يومياً تقع بين مرتين للرضاعة .

٣ ـ وبعد انقضاء الشهرين يمكن أن تغيب عنه فترتين ، ثم ثلاث تقع بين الرضعتين .

وحين تكون في البيت جدّة أو عمات ، فإن المشكلة تخف إلى حدٍ بعيد وتكاد تنعدم ، ولكن حين لا تتوفر هذه الجدة أو العمات ، فإن على الأم أن تتابع عنايتها في كل الأحوال ، وتستطيع الأم الموظفة أن تستفيد من إجازات الرضاعة اليومية (التي أتاحها القانون السوري) ، كما تستطيع أن تتمتع بإجازات نصف الراتب حتى تستنفد المدة المنصوص عنها أو بلا راتب في حالات الضرورة ، وبعدها تسلم الأم مولودها لدور الحضانة شرط أن يتم الأمر بالتدريج ولفترات محدودة .

الروضة وأطفالها

حين تكون الروضة سوية في شروطها والمشرفين فيها ،

فإنها تُعتبر وسيطاً جميلاً له خطورته ويقع بين البيت والمدرسة .

ويظن البعض أن الروضة مدرسة مصغرة (بمقاعدها وظروفها) وفي هذا الظن بعدٌ واضح عن وظيفتها الحقيقية .

إنما الروضة فترة مناسبة لنمو ذكاء الطفل وازدهار شخصيته

إنها ليست مدرسة (إلا بمقدار ما تحققه للذكاء والشخصية) .

تظهر أهميتها في الذكاء في المقولة الآتية[1] : إذا كان ذكاء الراشد يتمثل في ١٠٠ وحدة .

فإن	٥٠ ٪ من وحداته	يتم بين الولادة ـ والسنة الرابعة
	٣٠ ٪ من وحداته	يتم بين السنة الرابعة والسنة الثامنة
	٢٠٪ من وحداته	يتم بين السنة الثامنة والرابعة عشرة

أهميتها في الشخصية : تظهر في القول : إن في كل روضة

(١) وردت في كتاب فن رعاية الطفل ، ج. غاسيه ، ترجمة مايسة الدقر ، ص١٦٢ .

سوية أمرين متكاملين ؛ حرية التصرف ، والانطلاق في اكتشاف الذات .

والعمل فيها نشاط وألعاب حركية ، لغوية ، اجتماعية .

ومن حق الروضة ألا تقبل بأي طفل ، وإنما بالطفل الذي يستطيع الاستفادة منها دون أن يعوقها عن أعمالها ، ولا يمكن التسامح بشرط واحد أبداً .

١ ـ السن : ينبغي ألا يكون الطفل دون الثالثة .

٢ ـ وأن يكون قادراً على مغادرة البيت : من غير عناء وبكل يسر .

٣ ـ القدرات : أن يكون الطفل قد تمكّن من المشي بشكل جيد ، والتعامل مع الآخرين .

٤ ـ النظافة : أن يكون الطفل قد تعلَّم ضبط خروجه وضبط مثانته .

٥ ـ الاستجابة : للتعليمات والتنبيهات .

وهكذا فمن حق الروضة أن ترفض أيَّ طفل لا تتوفر فيه

جميع الشروط السابقة . إن الطفل المدلل يكون شديد التعلق ببيته ، ولا تفلح معه الروضة ولا تناسبه ، وخلافاً لذلك من الجائز أن نجد طفلاً يتعلق بالروضة تعلقاً قوياً ولا يرغب بالعودة إلى بيته .

هذا وقد تتوفر عند أحد الأطفال الشروط الخمسة ، ولكنه قد تظهر عنده فيما بعد احتمالات جديدة تشير إلى انعدام تكيفه مع الروضة منها ؛

١ ـ استمراره بالبكاء .
٢ ـ فقده الشهية للطعام .
٣ ـ تراجُع إمكانية اندماجه بالآخرين .
٤ ـ انتكاسه في أمور النظافة أو التبول ، وعودته إلى مص الأصبع .
٥ ـ ظهور العدوان عنده .

ففي هذه الحالات ينبغي على الأسرة ألا تُصر على بقاء طفلها في الروضة من أجل صالحه وصالح الروضة معاً .

وتنصح الصحة النفسية الأمهات بأمور أهمها :

أ ـ ألا تتخذ الروضة صورة العقاب .

ب ـ وبأن تجعل الطفل يحس أنه بدأ يكبر في ذهابه إليها ، (لأنه يقوم بأعمال الكبار ، ويخرج من البيت مثل أبيه ويحافظ على محفظته وأقلامه ..) .

جـ ـ وعلى الأم أن تمهد لطفلها بابتكار قصص عن جمال الحياة في الروضة وألعابها .

د ـ حتى تظهر الروضة في عين الطفل بوصفها مكاناً مثالياً تحلو الحياة فيه .

هـ ـ وعلى الأم أن تقوم بزيارة الروضة مصطحبة طفلها قبل انتسابه إليها من أجل التعرف عليها ، ولا مانع من تكرار الزيارات وتعريف الصغير بأطفال وديعين مداومين فيها .

و ـ وهناك أهمية خاصة لليوم الأول ، الذي يجب أن يكون يوماً مشهوداً لا يُنسى .

النشاط الذاتي

يقوم به الصغار بأنفسهم ، وبدلاً من طرق الإلقاء والتعليمات ، يطلب من المربيات أن يعتمدن على طرق :

- الحوار والنقاش ، والسؤال والجواب ، وتأجيج التنافس الشريف .
- والغناء المشترك .
- واللعب الجماعي ، وتركيب الألعاب وتفكيكها .
- وارتداء الطفل الثياب بنفسه ، وإطعام نفسه بنفسه ، والوقوف والمشي .
- وتنمية الملاحظة والقراءة في الكتب وحسن استعمالها ، مع الفهم والاستنتاج والربط .
- والتدريب على قيم النظافة والأناقة والتعامل المهذب والأمانة والشجاعة .

الفصل الثالث

وظائف
الصحة النفسية
التغذية - النوم - اللعب

الصحة النفسية والتغذية[1]

تميل بعض الأمهات إلى التقيد ببعض القواعد في تغذية صغارها ، إنهن أمهاتٌ متشبثات يفضلن الأوامر ، واستعمال الضغط على الأطفال من أجل تحديد زمان الطعام وكيفيته وكميته . وهكذا تصبح جداول التنظيمات الغذائية (مثل أوزان الأطفال وساعات الغذاء ، وعدد الحريرات .. إلخ) بمثابة الأمر المحتم ، ولا سبيل إلى المناقشة فيها أو الحوار معها !!..

أما الطفل المسكين ، وأما شهيته إلى الطعام وإعراضه عنه ، فهذه أمور تعد في نظرهن ثانوية ولا مجال للالتفات إليها .

وأما علماء النفس (والصحة النفسية) فيهتمون بمنهج آخر ،

(١) حرصنا على معالجة أسلوب الطعام فقط تاركين للمصادر الغذائية أن توضح الأشياء والأطعمة التي يتناولها الأطفال وهي ليست من اختصاصنا .

قوام هذا المنهج بكل بساطة :

أن الطفل السويّ يطلب الطعام حين يكون محتاجاً (أي جائعاً)

ويطلقون على هذا المنهج اسم : (التنظيم الذاتي Self Control) .

هذا المنهج معقول ومنطقي ، يضع الحصان أمام العربة ليجرّها خلافاً لوضعه خلف العربة ، كما تفعل بعض الأمهات المثقفات .

يعتمد هذا المنهج على نشاط الطفل ، ويساعد الأسرة والمربيات عموماً على الاهتمام بحيوية الطفل ونشاطه ، على اعتبار أن **الطفل الذي يلعب يجوع** .

وهكذا يصبح نشاط الطفل هو المحور الذي يدور حوله تنظيم الغذاء ، وهو يتطابق مع ما ورد في حضارتنا من مقولة مفادها : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

موجز التنظيم الذاتي

- الاهتمام بحيوية الطفل ونشاطه .
- استجابة الأسرة لحاجات الأطفال .
- تكيف الصغار مع شهيتهم من جهة ومواقف الأسرة من جهة أخرى .

وينجح هذا المنهج مع معظم الأطفال بدعوى أن المهم أن يشعر الطفل ويعرف (ونشعر معه ونعرف) متى يكون جائعاً ومتى لا يكون ، وطبيعي أن نتوقع وجود بعض الأطفال الذين لا يدرون ولا يشعرون بالجوع ، هؤلاء يجب أن نضع حولهم إشارة استفهام لنعرف نحن ، ولنسعى كي يظل الجوع (أو الحصان أمام العربة ليجرها) ، ومن ثم نتصرف بحكمة مع هؤلاء الأطفال متبعين أساليب التعويد أو العادة .

وحالما يقبل الطفل في الروضة فإن هناك نواحي تتعلق بأسرته لا يجوز أن تمر دون عناية الأم واهتمامها وأهمها :

١ ـ صحة ابنها وسلامة حواسه وأجهزته المختلفة (بمعرفة طبيب للأطفال) .

٢ ـ تقبّله الروضة والتعامل مع زملائه .

٣ ـ ومن حيث التغذية فإن من حق الأم أن تظل على علم بغذاء طفلها والاطمئنان عليه (في الروضات الراقية جانب من غرف الطعام تتجمع فيه أمهاتٌ خلف ستائر تجعلها ترى ولا تُرى فتشهد تغذية صغيرها) .

٤ ـ وأن تظل تتصل بمعلمة ابنها ويتم التعاون معها .

هذا والجدير بالذكر أن الصغار الذين يأكلون وفق التنظيم الذاتي (الذي أشرنا إليه) يتناولون طعامهم بشهية ملحوظة وبسرعة وينتفعون بطعامهم ، مع قدر أقل من المشكلات .

ثم إن منهج التنظيم الذاتي يراعي الوضع الاجتماعي للأطفال فإن الجوع يسري وينتقل بالعدوى بينهم ، وهكذا فإن الأطفال الذين يلعبون معاً متآلفين ، يجوعون معاً أو بالأحرى يُقبلون مع بعضهم على الطعام ، ويأكلون بشهية ونهم ، وكأنهم يتسابقون ، وبالطبع فإن هذا الكلام ينطبق على الصغار الذين

يعيشون مع صغار آخرين (أي بعد السنة الثانية من أعمارهم) .

ومع الأيام ينتظم طعام الأطفال فيصبح عادة ، عادة سارة وسهلة ، بدءاً من النصف الثاني من عامهم الأول ، وفي معظم الحالات يصبح الطفل متكيفاً ، وقد يُبدي شيئاً من الجزع (أو قلة الصبر) حين يرى أن طعامه لم يُحضر بدءاً من السنة الثانية[١] ، أو أكثر بقليل ، فهو لا يطيق الانتظار ، وإذا اشتد الأمر فقد يكون من المفضل تهيئة الطعام بعيداً عن أنظار الطفل ، ويترتب على الأم أن تكون ذكية ومدركة كي تدرس وتلاحظ تذبذب الشهية عند طفلها ، واضطراب هذه الشهية من وجبات إلى أخرى ، ومن طروء حالات اجتماعية (مثل وجود طفل آخر أكثر نشاطاً معه ، أو ولادة أخ جديد .. إلخ) .

فإذا كانت ذكية ولبيبة ، فإنها تستطيع أن تخدم صغيرها وتساعده على حسن التكيف والتغذي بصحة .

(١) سلوك الطفل . تأليف فرانسيس إيلغ . ترجمة د. عاقل ص ١٢١ .

تراجع الشهية

قد تتراجع شهية الطفل بدءاً من السنة الثانية نتيجة زيادة حركته (بالمشي والطيش واللعب) فيغدو جلوس الطفل أمام الطعام أمراً صعباً تكتنفه العقبات . لهذا فإن البعض يفضلون وضع الطفل في هذه السن على كرسي مرتفع أو وضعه في عربته محاطاً بمساند ، وهناك صعوبة أخرى في هذه السن ، وهي ظهور رغبة الصغير في أن يطعم نفسه بنفسه . وتحل هذه الصعوبة بأن تملأ الأم الملعقة وتجعل الطفل يشعر أنه يُدخلها بإرادته ، وقد يكون أفضل من هذا أن تهيئ الأم طعاماً لولدها يستطيع أن يتناوله بنفسه (مثلما يسمى في بلادنا لُقَم القاضي) فيتناولها لقمة بعد لقمة .

وقد يحتاج بعض الأطفال إلى الاستمرار بالطعام المهروس ، مع رغبتهم بأن يطعموا أنفسهم ، فهؤلاء نساعدهم بأن يقوموا ببعض الأعمال بأنفسهم ، فتعطيهم أمهاتهم صحناً أو ملعقة يلعبون بها أثناء الطعام .

وفي سن الـ (٢١) شهراً قد تظهر صعوبة جديدة ، وهي أن الصغير يبدي تذوقاً لطعام بعينه ، ويمتنع عن أطعمة أخرى ، وقد يعتاد كأساً معيناً ، أو صحناً بالذات ، أو ملعقة خاصة ، أو صدرية بعينها ، فتصبح هذه الأمور جزءاً لازماً لأي وجبة مقبولة لديه ، وهكذا فإن الأم التي لا تدرك هذه الناحية ولا تنتبه إليها لا تدري لَمَ يبكي الطفل ويستمر في البكاء ، في حين أن طفلها لم يكتسب بعد لغة الكلام ليعبر عن حاجاته التي أشرنا إليها .

ويفضل بعض المختصين ألا يُعطي الطفل إلا طعاماً واحداً بالذات ، على اعتبار أن تنوع ألوان الطعام قد يشوش الشهية أو يصرف الصغير عن متابعة الأكل ، وطبعاً فإن على الأم أن وتعرف خيار الطفل هذا الطعام أو ذاك .

ومن الطريف هنا أن نذكر أن بعض الأطفال يحبون أن يمزجوا بين أطعمة متنوعة في مزيج واحد !.. لكنهم بعد أن تمزج الأم لهم ما أرادوه يفرون ويهربون من الطعام بالكلية .

وفي العام الثالث

يصبح بعض الأطفال عسرين ويصعب إرضاؤهم ، وعلى الأم أن تعرف ببداهتها الطعام الذي يفضله الصغير .

وعلى الأم أن تدرك أن الأطفال في هذا السن تتراوح قابليتهم للطعام بين الجودة ومنتهى السوء ، وهذا التراوح يميز تغذية الأطفال في هذه السن ، ويسمح به في حدود معقولة ، والملحوظ أن الصغير الذي تسمح له أمه بأن يصب حليبه بنفسه (وبمعونة أمه بالطبع) قد يدفعه هذا إلى تناول الحليب أكثر مما لو صُب له ثم طُلب منه أن يتناوله !..

وعلى المائدة المشتركة لأفراد الأسرة ، قد تظهر صعوبات جديدة منها : أن في جلوس الصغير مع غيره قد يسبب بعض الورطات ، فهو يريد إبعاد طفل آخر أو يريد أن يتصرف بألعاب خاصة تبهجه . فيضرب بالملعقة على المائدة ، أو على الصحن . ولا يريد أن يتدخل أحد في شؤونه !.. فتحار الأم هل تظل تطعم ولدها أم تتركه يعبث ، أم تدعوه إلى أن يطعم

نفسه بنفسه ، وفي كثير من الأحيان تحس الأم أنها وقعت في حلقة مفرغة ، لم تكن لتحدث لو أنها ثابرت على أن يطعم الطفل نفسه بنفسه بعيداً عن مشاركة الآخرين من أفراد الأسرة .

السرعة وتزايد الفاعلية

سن الرابعة : هو سن بدء السرعة ، فيه توسع واضح وتحفز للطعام ، إن الطفل يحس في هذه السن أنه كبر ، وأنه يمارس مطالب جديدة وفعاليات مستجدة ، فيعرض على أمه أنه يريد أن يساعدها في ترتيب المائدة ، وأحياناً في تحضير الطعام ، وقد يطمح هنا إلى الجلوس مع إخوته وجميع أفراد أسرته فيدعوهم أحياناً وكأنه صاحب الدعوة ، فيكون له هذا حافزاً جديداً في طعامه .

أما الصعوبة الرئيسية في هذه السن فهي أنه يريد أن يتكلم كثيراً ، ويسأل ويجيب ، ويتدخل في أمور لا تخصه ، وإضافة إلى هذا تظهر صعوبة في الجلوس إلى الطعام بهدوء ، وكثيراً ما يقطع وجبته لشعوره بالحاجة إلى زيارة المرحاض .

ابن الخامسة : يتوسع اهتمامه بالآخرين والتحدث معهم وتزداد مهارته في استعمال أدوات الطعام ، ولكنه يظل في حاجة إلى معونة الآخرين بتقطيع اللحم ، وتعالج الأم قضية حديثه مع غيره ، بتناول طعامه لوحده جزءاً من الوجبة ، ثم متابعة نهاية الوجبة مع الآخرين ، أو تناول الحلوى والفاكهة .

ابن السادسة : يشبه طعامه سلوكه اليومي وحركاته ، وكما أن حركاته تتضاعف فيغشى أمكنة يمكن التنبؤ ببعضها وأخرى لا يمكن ، أما شهيته للطعام فجيدة . وقد تصبح أكثر مما يلزم ، وقد يتمنى أن يظل يأكل طول الوقت ، وقد يتناول بين الوجبات أكثر مما يفعل أثناءها . والإفطار عنده أصعب الوجبات ، لا سيما إذا كان الإفطار يسبق أمراً مثل الذهاب إلى المدرسة أو النزهة (في أيام العطل) ، لهذا ينفعه تناول وجبة خفيفة في الصباح (كوب من اللبن مع قطعة كعك في الساعة العاشرة) وقد يطالب الطفل في هذه السن بشطيرة كبيرة قبل أن يمضي إلى النوم في المساء ، وليس مستغرباً أن يستيقظ بعض الأطفال ليطلبوا الطعام في منتصف الليل ، ومع ذلك يلاحظ

أن الطفل لا ينهي وجبته لأن شهوتـه للطعـام أكبر من حقيقـة حاجته .

وابن السابعة : قد يأكل أقل مما يأكله ابن السادسة .

أما ابن الثامنـة فيصبح أكولاً ممتـازاً في الغـالب ، وهكـذا نراه يتناول بعض الأطعمة التي كان يرفضها فيما مضى .

كما أنه لم يعد يهتم بالكلام كما كان في السادسـة والسابعـة ، ويُظهر حـاجـة إلى أن يتنـاول الحلـوى فـور انتهـاء الـوجبـة ، ويرغب في أن يترك الطعام كي ينصرف إلى مهامّه وأعماله .

وفي سن الحادية عشرة : يشعر الفتى بالامتلاء بعد الأكل ، ويدرك أنه تناول أكثر مما يلزم .

وفي سن الثـانيـة عشر : يـزول شعـوره بـالامتـلاء في الغالب .

وفي الثالثة عشرة : تتحسن الأحوال أحياناً بعض الشيء ، ولكن لا بد من بلوغ الخامسة عشرة حتى يتضح التوازن وتستقر

قضية التغذية ، وتغدو سلوكاً ثابتاً مثل الكبار ، ويُلاحظ أن شهية المراهقين واضحة بل ممتازة ، ويُخشى أن يمتلئ بعض الفتيان فيسمنوا ، ويقترح بعضهم ألا يقلق الأبوان من هذه الناحية ، لأن بلوغ الفتى ووصوله الرابعة عشرة أو بعدها بقليل يجعله يميل إلى النحافة . ويبدأ يحس بالعلاقة القائمة بين زيادة الطعام والوزن .

فروق فردية

ليس غريباً أن نجد أطفالاً يعيشون ليأكلوا ، فهؤلاء في الغالب يصبحون متكورين وتمتلئ أجسامهم ، وإلى جانب هؤلاء أطفال آخرون قلما يناديهم الطعام أو ينادي شهوتهم ، أو يعرفون الجوع ، ولكنهم إما ألا يشعروا بدنوه ، وإما أن يبدو الجوع لهم قصيراً وحاداً إذا أتى ، وهكذا يُفضل لهؤلاء أن يتناولوا وجبات متعددة خفيفة (٥ ـ ٦ وجبات في اليوم الواحد) . ومثل هؤلاء الأطفال يشكلون في الواقع مشكلات غذائية واضحة ، ذلك أن قسرهم على الطعام قد يؤدي إلى فعل معاكس ، فتتوارى شهيتهم (وهي الضئيلة في الأصل) وقد

يدفعهم هـذا القسر إلى التقيؤ ، ويُلاحـظ أن وزن هؤلاء يزداد ببطء شديد ، ومع ذلك فإنهم يُعدون أحسن حالاً من المتكورين ، وإذا ما راعتهم أمهاتهم وقدمت لهم مقادير قليلة خلال وجبات متعددة ، فإن الإشكال عندهم يتوارى ، ومن المفيد للأم أن تطمئن على أولادها حين تعلم أن النمو والدخول في عالم الكبار والراشدين كفيل بابتعاد كل إشكال غذائي .

مشكلات محددة [المغص ـ التقيؤ ـ رفض اللحم أو الخضار أو التوابل] :

المغص : أمر شائع بين الأطفال يصاحب الطعام في الشهور الأولى بعد الولادة ، وقد يسبب عصير البرتقال بعض هذا المغص ، ويستحسن بعضهم أن يُستعاض عنه بفواكه أخرى غنية بفيتامين (ج) ، وإذا كان المغص ناتجاً عن الحليب الذي يقدم بزجاجة الإرضاع ، فإنه في الإمكان تغيير نوع الحليب ، علماً أنه ليس الحليب هو المسؤول الوحيد عن المغص .

ويؤكد المختصون أن المغص يمكن أن يرجع إلى عامل نمائي ، ويظل مهماً على الدوام علاج المغص ، ويُلاحظ أن الطفل الذي يُهدهد في العربة أو يرفع من الفراش ، أو يوضع في السيارة يزول عنه المغص (أو هكذا يشعر الكبار) كما تفعل رؤية الأضواء وسماع أصوات الشارع ومشاهدة المتحركين الفعل ذاته .

التقيؤ : تقول الباحثة (فرانسيس إيلغ)[(١)] « كما أن طفل الصف الأول من المدرسة لا يعلم كيف يتصرف بالحروف ، فإن المجرى المعوي عند بعض الأطفال لا يعلم ـ كما يبدو ـ كيف يتصرف بالطعام ، هل ينزل إلى أسفل أم يصعد إلى أعلى فيسبب التقيؤ ، لكن الطفل الذي دخل في الأسبوع الثامن والعشرين يثبت عنده المجرى إلى أسفل ، وإذا وجدت الأم أن الطفل استمر يتقيأ بعد هذه السن ، فإن في وسعها أن تقلل من كمية الطعام الذي تقدمه له ، ويُستحسن أن تقسم الوجبة إلى وجبتين أو ثلاث مع فواصل زمنية ، وفي كل الأحوال يجب على الأمهات

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٣ .

ألا تقلق كثيراً بصدد التقيؤ ، لأنه ـ فيما يبدو ـ جزء من النمو بالنسبة لبعض الأطفال .

رفض تناول اللحم أو خلافه : قد يمتنع الطفل الذي شاهد الدجاجة (وقد فرح كثيراً باللعب معها وتتبّعها وهي تُذبح) ، عن تناول شيء منها ، وقد يمتنع الطفل عن تناول لحم الضأن أو البقر ، بطريق العدوى ، فينتقل من طفل لآخر ، أو بسبب إلحاح الأبوين بأن يتناول الطفل الطعام في وقت لا يريده فيه (أو ليس مستعداً للأكل فيه) ، ومن المفيد أن يقدم اللحم لهؤلاء مهروساً ، ولا داعي للتحدث طويلاً في الموضوع وجعله قضية هامة .

وسنعرض فيما يلي مقتطفات عن تغذية الأطفال قبسناها من مجلة (وومنز هوم) الإنكليزية .

أيتها الأم

يرى الكثير من المختصين أن مشكلات التغذية ، عند الأطفال لا ترجع إلى الصغار بمقدار ما ترجع إلى سلوك الكبار

تجاههم ، ولهذا يقدمون إلى الكبار بعض الملاحظات لمعالجة مشكلات التغذية عند أولادهم :

١ ـ لا تجبري ولدك على تناول طعام لا يرغبه ، إن شهية الطفل للأكل تتعلق بمراحل النمو ، وبطبيعة الجو ، ووضعه من المرح أو الانكماش .

٢ ـ لا تعاقبي طفلك على عدم الأكل ، ولا تغريه ـ إذا أكل ـ أن يحصل على بعض المكافآت ، ولا تقدمي له طعاماً رفض مسبقاً تناوله ، ولا تهدديه بأنه سيمرض إذا لم يأكل ، فقط يمكن إفهامه أن الطفل الذي لا يأكل لا يكبر ، وهو كالسيارة التي لا تسير بدون وقود .

إن التهديد لا يزيد الصغار إلا عناداً أو استسلاماً للطعام دون شهية ، أو بالقلق والجزع ، وأفضل من التهديد لجوء الأم إلى التشجيع ، فتقول مثلاً للطفل : إن كل الصغار الظريفين يأكلون ويكبرون ، ثم يصيرون مثل بابا ، (الذي يقود سيارة) أو ماما المحبوبة ..

٣ ـ حددي مواعيد الطعام ، على ألا تقل الفترة بين الوجبتين عن ساعة ولا تزيد عن ثلاث ساعات ، مع مراعاة أخذه كفايته من النوم واللعب ، وهما أهم العوامل في مساعدته على الهضم والانتفاع من الطعام .

٤ ـ لا تسمحي للصغير أن يتناول شيئاً بين ساعات الطعام المحددة .. وارفعي الطعام عن المائدة بعد عشرين دقيقة من البدء ، على ألا تشعريه أن في هذا عقاباً له .

٥ ـ قدمي له الطعام الذي يشتهيه ، واعلمي أن الطفل فوق الثالثة يستطيع أن يهضم ويستسيغ طعام البالغين .. إذا تناول منه باعتدال .

٦ ـ ساعدي ولدك على أن يأكل بيديه ، فهذا يشعره بالمتعة فيأكل بشهية .

٧ ـ احرصي على أن تكون ساعة الغذاء مرحة بهيجة ، فلا أوامر ولا نواهي ، ولا صياح ولا تأديب ... ولا غضب

منك .. ولا تتشددي في تعليم آداب الطعام ، فإنه سوف يتعلمها فيما بعد .

٨ ـ احرصي على سلامة أسنانه ... ويحسن ألا تقدمي له الحلوى إلا مع الطعام ، ثم نظفي أسنانه بالفرشاة .

٩ ـ لا تمنعي طفلك عن تناول الماء مع الطعام ، احذري الماء الشديد البرودة ، وقدمي له كوب الماء ـ الذي لا ينكسر ـ حين يكون فمه خالياً من الغذاء .

١٠ ـ عودي طفلك غسل يديه وفمه جيداً قبل تناول الطعام وبعده .

النوم عند الأطفال

أهمية النوم :

لا يقل النوم في الأهمية بالنسبة إلى الإنسان عن الغذاء والطعام وتزداد أهميته الجسدية والنفسية في السنوات الثلاث الأولى من عمر المولود ، كما يصبح ألزم من الطعام بالنسبة إلى الشيوخ المسنين .

وبفضل عملية النوم نظمت العناية الإلهية شؤون طاقاتنا البشرية منذ الولادة ، حتى آخر لحظة من لحظات الحياة ، قال تعالى : ﴿ وَمِن آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ وابتِغاؤُكُم مِن فَضلِهِ إنَّ في ذَلِكَ لآيَاتٍ لقومٍ يسمَعُونَ ﴾ [الروم : ٣٠/٢٣] .

وهكذا فإننا ـ معشر البشر ـ نكتسب الطاقة بفضل الغذاء ، لكننا ننتفع من هذه الطاقة ونحفظها من الهدر بفضل

النوم ، وكأن النوم صمام أمان يحول دون انفجار التعب واحتلاله مرافق الجسم والنفس[(١)] .

وبعد فإن الطفل إذ يأتي إلى هذي الحياة ، يجد نفسه مزوداً بآليات للنوم تمكنه من أن يحتفظ بالطاقة التي لديه ، ويختزن النشاط الضروري لليقظة ، وبذلك يتمكن من متابعة تأمين مستلزمات النمو المتزايد لأعضاء جسمه ووظائف نفسه خلال فترة الطفولة وما بعدها .

ويمثل النوم وظيفة حيوية (جسدية ونفسية واجتماعية) تنشأ عنه جملة إشكالات ترتبط به أو تنجم عنه ، فالتعب بجميع صوره يستبد بالإنسان ، ولا يَقضي عليه بغير النوم ، ويا حبذا النوم إذ يقبل على المتعبين ، فإنه كفيل بطرد متاعبهم ، لكن السؤال هنا (هل ينام كل متعب ؟) ، الحق أن النوم يتطلب الأمن والأمان ، فما يملك خائف أن ينام ، وما يستطيع قلق منهوب الفكر أو العاطفة أن يرقد ، وانفعالاته تهاوشه وتناوشه ... وما أيسر تعب الجسم وأهون حاله إذا كانت

(١) راجع الموجز في سيكولوجية الأطفال للمؤلف سنة ١٩٥١ ، ص ١٢١ .

النفس هادئة مطمئنة .. وإضافة إلى كل ذلك نذكر الغضب والحقد وكلاهما يطرد النوم كما تطرد العواصف رمال الصحراء ، تجرفها أمامها .

ويجب ألا نستهين بالاضطراب العصبي الناجم عن التبول في السرير ، ومص الأصابع أو التهتهة والتلعثم في الكلام ، والشعور أن المرء ليس متفاهماً مع غيره كتصورٍ ذاتي وإحساس بالهوان ، ففي كل هذه الحالات ينتاب الأرق صاحبه محاطاً بالقلق ولوم النفس .

ومن جهة أخرى ينصح النفسيون الأمهات أن توفر للمتخلفين مزيداً من النوم والاسترخاء والراحة بقدر يصل إلى ضعف ساعات النوم عند الأسوياء ، وذلك لشدة حاجة المتخلفين إلى الراحة وسرعة تعرضهم للتعب .

وأما المريض العضوي فإنه يحتاج إلى النوم لينأى عنه الألم ، سواء أكان طفلاً أم راشداً ، فيغدو النوم جزءاً من البرنامج العلاجي للمرضى .

وقد دلت التجارب والمشاهدات على أن الإنسان لا يستطيع متابعة الحياة إذا هو ترك النوم مدةً تزيد على ثلاثة أيام أو أربعة ، كما دلت التجارب التي أجريت على الكلاب أنها تموتُ إذا امتنع عنها النوم خلال بضعة أيام[1] .

النوم عند الطفل :

يستغرق النوم معظم حياة المولود في الشهور الست الأولى ، وهو ينام في الواقع كل وقته في الأسابيع الأولى ، حيث يبلغ بين عشرين إلى اثنتين وعشرين ساعة في اليوم ، وتنقص ساعات النوم بعد انقضاء الشهور الستة الأولى فتهبط إلى ١٦ ساعة (المرجع السابق) ، ويستمر هذا النقص تدريجياً فيحتاج إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً في السنة الرابعة كي يحافظ على صحته .

والطفل السليم النشيط يأتيه النوم طبيعياً بعد انقضاء يوم حافل باللعب أو العمل المدرسي والنشاط ، ويتسرب النعاس إليه مصحوباً بالتثاؤب .

(١) راجع أسس الصحة النفسية ، د . عبد العزيز القوصي ص ٢٦٧ .

إنه واثق من محبة أهله وقد ألف طويلاً أن يذهب إلى سريره راضياً حين تدق ساعة النوم ، ومالم يتعثر نومه بطارئ صحي أو بيئوي ، فإنه ينام ملء جفنيه ، ويخلد إلى رقاد عميق ينال فيه حظه من الراحة والاسترخاء .

والطفل بعد السنة الأولى يمر بتغيرات في عادات نومه ، تزعج أمه غالباً ، فتنتابه بين حين وآخر ، تناقضات عجيبة فهو أحياناً يرفض قيلولة الصباح ، ولكنه يرضى بها في أحيان أخرى ، لقد وصل إلى مرحلة تكون فيها فترتان من النوم أكثر مما يحتاج ، وتكون الفترة الواحدة غير كافية له ، ولكنه بعد مرور هذه المرحلة يكتفي بقيلولة واحدة في النهار ، وعلى الأم أن تتوقع في المرحلة الجديدة مقاومةً جديدة من ولدها تجاه النوم ، فلا مانع من أن تتنازل لوليدها ، ولكننا ننصح الأم بأن تتابع محاولتها بتنويم ولدها في الصباح ، وتعطيه ألعابه وهو في السرير ، باحتمال كبير أن ينام بفعل ذلك ، أما إذا راح يبكي خلال تصرفها الجديد ، فلترفعه من السرير إذا ظل يبدي الامتناع عن النوم صباحاً ، ويمكنها أن تُقدم ساعة غذائه في الظهيرة ، وأن تضمن له نوماً كافياً بعد الظهر .

استراحة بعد الظهر

إن تنظيم استراحة بعد الظهر يحول دون تكوين اتجاهات خاطئة عنده بإزاء النوم ، ولهذا فإنه سرعان ما يقبل على القيلولة (وهو محاط بألعابه) فيمارسها شاعراً أنها عادة لذيذة ومنعشة ، وإذا لم ينم في وقت القيلولة المذكور فإن في وسعه أن يتسلى أثناء ذلك وهو يقظ دون أي قلق عليه . ذلك أن الجسم إذا كان مرتاحاً فإن صاحبه سينام بشكل مؤكد ، وأما إذا لم يكن في حاجة إليه ، فمن الممكن أن يستريح خلال ساعة يستلقي فيها قبل أن يغادر سريره ، وفي كل الأحوال فإن استراحة بعد الظهر يجب أن تنتهي في وقت مبكر بحيث تسمح للطفل أن يلعب في الهواء الطلق قبل تناول العشاء .

نوم المساء

إذا كان كل شيء طبيعياً في حياة الطفل ، فإنه سيقبل على سريره دوماً وهو مسرور منذ أن يثقل رأسه بالنعاس ، ويتم

هذا شريطـة أن تعنى الأم في سريره بنفس[١] السـاعـة ، فيصبح النوم مع الأيام عادة .

يقول الدكتور (هولت) صـاحـب الخبرة الطبيـة في حيـاة الأطفال « إنه ينبغي البدء بغرس عادات النوم منـذ المولـد ، إذ ينبغي أن يـألف الطفل منـذ مطلع حيـاتـه أن يوضع في مهـده أثنـاء صحـوه ، وأن ينـام دون معـونـة أحـد ، ولا حـاجــة إلى أرجحته أو هدهدته ... فإن في هذا أذى واضحـاً كما لا ينبغي أن ينام الطفل على ثدي مرضعتـه أو حملـه إلى النوم والزجـاجـة في فمه ، ومما يؤذي الطفل أن يوضع في فمه حلمة مطاطية يمصهـا أو إعطاؤه دواءً منوماً . ذلك لأن الأم التي تلجأ إلى مثل هـذا تعوّد الطفل ألاّ ينام بغيرها .

ساعات النوم :

يجب أن نتوقع من أجـل تحـديـدهـا فروقـاً فرديـة بين كل

---

(١) إذا أتت السـاعـة الثـامنـة مسـاء فـإن أطفـال أوربـا وأمريكا يكونون في السرير لينـامـوا ويظـل أطفـالنـا في الشـوارع يلعبـون حتى السـاعـة ١٢ أحياناً ، ولبئسما ما تصنعه حرية كهذه إنها اللامبالاة .

طفل وآخر ، كما هي الحال عند الكبار ، والأم اللبيبة تعرف بالممارسة ساعات نوم كل ولد من أولادها أكثر مما يعرفه الطبيب ، وذلك بملاحظة طفلها وملاحظة تطورات نموه ، فإذا أوردنا جدولاً يحدد ساعات النوم ، فلا يعني أن هذا الجدول جدول آمرٌ ناهٍ ينبغي مراعاته بقسوة وبحذافيره ، بل يعني أنه جدول إحصائي وضعه العلماء كي تستأنس به الأمهات وتسير وفقه ، وهو جدول موضوع في أوربا تحرّى فيه العلماء صحة أطفالهم وطبقاً لمناخهم وطقسهم .

وعلى كل أم أن تعرف هذا الجدول فتقرأه وتستفيد منه وتعدّله كي يتناسب مع ملاحظاتها حول الأطفال .

سلوك الطفل في النوم

وشيء آخر ننصح به الأمهات ، وهو أن ولدها في السنة الثالثة وما بعدها بقليل قد ينام أو يُظهر أنه نام فترة ربع ساعة أو ما يشبهها أول الليل ، ثم ينهض فجأة ويشرع باليقظة والبكاء ، ويطلب مطلباً معيناً ، وهنا يجب عليها أن تهدئ

العمر بالسنوات	3-2	4-3	5-4	6-5	7-6	12-7	16-12	الراشدون
ساعات النوم في الليل	14-12	13-11½	12½-11	12-10½	11½-10	11-9½	10½-9	10-8
ساعات القيلولة في النهار	2	1½	½	½	½	½	½	½

نفسها وولدها ، ولا حاجة لأن تحمله بشكل مباشر لتُسكته ، كما أن عليها أن تتوقع منه بعض الطلبات (كوب من الماء يا ماما) أو (أغلقي النافذة) أو (أريد قصة حسناء الغابة) أو (لازم أقول لك وأنا ما قلت ، أنا ما بحب المدرسة) وهكذا يحلو للصغير أن يثرثر فيطلب بعض المطالب ، واستجابة الأمهات لهذه المواقف تقوم على الضيق والتأفف ، وهناك أمهات تستعمل (في بلادنا) التخويف لأن (الشرطي) أو (أبو أمامو) أتى ، فحذار من مواقف مؤذية كهذه ، غير مسؤولة ومضادة للتربية من هذا النوع ... ويشارك الأب أحياناً مع الأم في خلق الذعر عند الطفل ، فيضخم صوته ويبعبع قائلاً (اسمعوا ... اسمعوا أبو عين بيضا وصل) .. إلخ ، ويفعل الأبوان ذلك دون أن يقدّرا النتائج السيئة التي تترتب على مثل هذه الأكاذيب السوداء ، وهما لا يدريان شيئاً عن العيون التي تتسمر تفتش عن (البعبع) في الظلام وعن القلوب التي تهلع ، والنفسيات التي تفقد شجاعتها ، وتُزرع فيها عقد ومخاوف يسمونها (فوبيا أو خوفاً مرضياً) ، فنرى هذا الطفل ينشأ وهو يخشى الظلام ،

أو يخشى النـوم أو الـوحـدة أو الصمت .. إلـخ ، ويكبرون فيحملون (رسالة أرنب مـذعور) ثم يكبرون فيسوء نومهم حين يشبون ويصبحون محتاجين لأقراص النوم في الكبر .

وشبيه بمواقف الأبوين أولئك الـذين يقصون على أطفـالهم في المسـاء قصصـاً عن الوحـوش في الغـابـات عن (الـدب الـذي يهاجم الأطفال) و (الذئب الذي يفترس من لا ينام) ، وكثيراً مـا يستبسل أحـد الآبـاء ويظهر شجـاعتـه لـولـده ، فيقـول لـه « وحين رأيت النمر وهو ينظر إليّ بعينين ضاويتين وحـاول أن يأكلني ، لكنني هجمتُ عليـه بـالسكين فقلعت عينـه بسرعـة ثم العين الثـانيـة ، ولم يعـد يرى فـارتمى على الأرض وانتصرت عليـه .. » ويتـابع الأب قصص بعض البطولات من هـذا النوع دون أن يدرك نتائجها المـدمّرة ، وتتعزز هـذه الأخطـاء ببرامج التلفـزيـون التي تقـدم الرعب وأفـلام الإرهـاب والعنف ، وهي أيضاً لا تدري شيئاً عن الهلع الـذي يصيب الأطفـال ، ويشترك في صنع هذا الهلع مخرجو المسلسلات مع الآباء الذين يسـاعـدون المخرجين وكاتبي السينـاريو ، **أعـان الله الصغـار كم يعـانـون من**

حماقات الكبار ، وكم يتحملون الأذى فيفقدون شجاعتهم في الحياة وينهجون منهج من يستسلم بسرعة أو من يناضل ويكاسر حتى الموت .

ويظن بعضهم أن الشدة يمكن أن تدفع الصغار إلى النوم ! في حين أن الأطفال (وهم أذكى مما نتصور) يدركون أن الأسرة ترغب بنومهم ، فيتشبثون بالسهر ومقاومة الآباء على الرغم من التعب الذي يتملكهم وحاجتهم إلى النوم (قال أحدهم أنا أعرف لماذا تريدونني أن أنام قبلكم ، أنتم تريدون أن تشاهدوا الفيلم الذي لا تحبون أن أراه) ..

مناقشة : ليست الشدة أبداً مجدية في جلب النوم عند الأطفال ، والأسباب كثيرة وواضحة .

١ ـ الشدة تقابلها الشدة ، وإذا انتصرت شدة الصغار ، أخذت هيبة الأبوين تتعرض للخطر ، وغدا الأولاد يزدرون آباءهم ، فيستعذبون فرض أنفسهم على الكبار لا على أبويهم وحسب .

٢ ـ وتخرج الشدة عن طبائع الأمور ، فنتساءل (كيف نستطيع أن نجلب الاسترخاء والهدوء باستعمال طرق غير مريحة وأساليب غير هادئة) ، فما أشبه هذه المواقف بمواقف إنسان يشهر سلاحه على الناس كي يضحكوا ويعلنوا الابتهاج !!..

٣ ـ وأفضل من اتباع الشدة لجوء الآباء إلى أسلوب (الوقاية قبل العلاج) الذي ينهض على التماس النشاط ، واللعب ، وتقوية الشخصية ، وطبيعي أن النشاط يجلب النوم وأن اللعب وتقوية شخصيات الأطفال يساعدان على توفر الأمان الذي يستلزم بدوره النوم ويستوجب الرقاد .

مكان النوم

يطرح هنا سؤال (هل ينام طفلنا لوحده أم ينام معنا ؟؟) ، والجواب المفضل هنا (أن ينام الصغير في سريره المستقل منذ بداية حياته) ، ولا مانع في بعض الحالات الشاذة التي يحس فيها الطفل بحاجته إلى الكبار أن ينام إلى جانب أمه شريطة ألا تتكرر فتتولد عنده عادة مترسخة تزعج سائر الأطراف .

وعلى وجـه العموم ينبغي ألا ينـام الطفـل بعـد الشهر الخامس عشر في غرفة أبويـه ، وكثيراً مـا يقوم الآبـاء الجـاهلون بحماقة فـاسـدة فيسببـان عنـد طفلهما الاضطراب النفسي والقلق المبهم الغامض ، عندما يسمحـان لـه بمشاهـدة أبويـه في صلاتهما الخاصة ، لقد نهانا الشرع الحنيف عن تصرف كهذا ، كما أوضحت (التربيـة الحـديثـة وعلم النفس الجنسي) خطـأ أو خطـورة لا مبالاة غريبة كهـذه ، يؤكـد علمـاء النفس المعـاصرون تكوّن أنـواع من المقت والتقـزز تنـدس إلى لا شعـور الأطفـال بشكل عُقـد ، تجعـل مستقبـل الصحـة النفسيـة عنـدهم مهـدداً أو ممهـداً للمـواقف المرَضيـة ، تجـاه العـاطفـة والجنس ، وقـد تـؤدي إلى (رهـاب الزواج) ، وتصوُّر الوحشيـة والخـوف والعنـة أحيـانـاً بإزاء العاطفة السوية بين الجنسين[1] .

كيف ندعو الصغير إلى النوم

لقـد أقبـل المسـاء ، أوقفنـا منـذ الغروب الألعـاب المثيرة

---

(١) يراجع الكتـاب القيم : علم النفس الجنسي للمؤلف ، أوسفـالـد شفـارتس : المقدمة والفصل الأخير .

للأرق ، كالصياح والضحك المفرط والركض .. إلخ ، خففنا الأصوات أو حجبناها .. الصغير جالس بين ألعابه لا يكاد يحس بالنعاس فماذا نعمل ؟؟

إذا كان ابننا بين السنتين الثانية والثالثة ؛ اتجهنا بأبصارنا إلى اللعبة التي بين يديه ، وأخذنا نظهر اهتماماً متزايداً بها ، ثم نحمل اللعبة والطفل معاً ونمضي بهما إلى السرير (تصبح على خير حبيبي) ونلقي الدثار عليهما ببطء .. وإذا كانت اللعبة جدّ كبيرة سارعنا لإبدالها بما هو أصغر وأيسر حملاً .

إذا كان ابننا في الرابعة فيمكننا أن نشير إلى الساعة ونفهمه بقرب ترك الألعاب ، ولنحرص على ألا نبعده عن اللعب بشكل مفاجئ ، ولنذكر أن اللعب ليس مجرد سلوك عند الصغار وإنما هو حياة ، وإذا ذكرنا هذا أدركنا كم تخطئ الأم حين تقول (اترك اللعب الآن وهيا إلى السرير) ، الأم الذكية تدرك أنها أمام مشكلة وتعرف كيف تنساب وتدخل إلى صميم اهتمامات ولدها . تتناول البناء الذي صنعه الطفل أو الصورة التي لوّنها (يا سلام ما أحلاها) وتظهر اهتمامها الشديد ، ثم تضع البناء أو

الصورة في علبة خاصة (إن أبيّ الآن يريد أن ينام ، وغداً أيتها الصورة يتم التلوين) (غداً ستصير الصورة أحلى وأحلى) ، ولا مانع من قصّة صغيرة هادئة في السرير ، ففيه يحلو التحبب والمنادمة وتجمل القصص .. والهدهدات المنغمة ، ويجب ألا ننسى أن الصغار يحبون أن يشعروا في لحظات النوم أن الكبار قريبون منهم ، ومن الصغار من تأخذه سِنة النوم سريعاً منذ أن تلمس الوسادة خدودهم ، ومنهم من يمكث بعض الوقت ، وفي معظم الحالات يلزم الطفل مقدار ثلث ساعة حتى يستسلم إلى الرقاد ، وقد يفيدنا أن نمسك بيده قبل النوم ثم نفكها شيئاً بعد شيء إذا شعرنا أنه رقد ، ويصدف أن يكون الكبار سادرين في الكلام أو السمر ، ويلتفت واحدهم فجأة فيرى الصغير وقد نام على الأرض ، فإن لم يكن البلاط بارداً ، أو كان نوم الطفل على البساط أو السجادة ، فلندعه يكمل نومه هناك وندثره بدثار خفيف ، ثم نحمله إلى السرير حين نتثبت من نومه ، وإذا صدفت مناسبة بهيجة في البيت ، فإن السهر يكون مسموحاً للصغار كي يفرحوا مع ذويهم شريطة ألا تتكرر هذه السهرات ،

لأن الأطفال يستيقظون في الوقت الذي اعتادوه ، ويكونون قد فاتهم قدر من الرقاد .

اضطراب النوم :

هناك أطفال لا ينامون بسهولة ، ويرفضون أن يظلوا في السرير ، وهناك حالات تشتد يقظتها في الليل ، إذا لم يكن الطفل في هذه الحالات مريضاً ، فإن في حياته شيئاً غير طبيعي ويجب اكتشافه (وفي كثير من الأحيان تكون هذه الأشياء غير الطبيعية من صنعنا وبسببنا نحن الكبار) ، وقد يكون السبب أن الطفل قد نام في القيلولة قدراً أطول من عادته ، وطبيعي أن النوم المفرط في النهار يدعو إلى السهر (عند الكبار والصغار على السواء) وقد يكون الأمر راجعاً إلى أننا أفرطنا في مداعبته قبل النوم وطبعاً فإن المداعبات جيدة ولكن ليس قبيل النوم .

ولا مانع من أن تقرأ الأم (أو الأب) بعض القصص الصغيرة غير المثيرة ، أو تعزف الموسيقا الهادئة المحببة كموسيقا (فيفالدي) ، أما برامج الإذاعة والتلفزيون فيجب ألا تعكر

صفو النوم ، وبرأينا ألا تعرض على الصغير إلا البرامج المدروسة بطريقة كافية وبطرق معقولة .

وتظل أعصاب الصغير متوترة ويتأبّى النوم في الحالات الآتية :

١ ـ إذا أحس أو تصور أنه بائس (ولو مجرد تصور) .
٢ ـ إذا كان يخشى الظلام .
٣ ـ إذا كان يخاف أن يترك وحيداً أو يشعر أنه منبوذ .
٤ ـ وطبيعي أن يعمل الشجار على تنغيص نوم الطفل ، وكذلك تفعل الغيرة أو الخوف أو الفرح الشديد ، كل هذه الأمور تفعل فعلها السيء مع النوم ومثيلها القسوة التي تصدر عن الأب أو الأم أو المربية النكِدة .
٥ ـ إذا ظن الصغير أن مكانته مسلوبة ، وأن غيره يحصل على التقدير بدلاً منه

تبول الأطفال في ثيابهم وفرشهم

من أسباب الظاهرة : احتمال أن يتبول الطفل في ثيابه

كنوع من التصرف العادي بين الفينة والفينة ، وقد يكون طول الدرس وخجل الطفل من طلب الإذن عاملاً من العوامل .. كل هذا جائز إلا إذا تحولت الحالات المذكورة إلى عادة ، وفي هذه الحالة يجب الاستعانة بالطبيب .

فالطبيب يمكنه أن يكشف :

- وجود التهاب في المثانة أو الكليتين ، وينجح في التغلب عليه .
- أو يلاحظ خللاً وظائفياً في الجهاز البولي .
- أو يلاحظ أثر الاضطرابات الانفعالية .

عوامل مدعمة :

١ ـ ولادة طفل جديد بعد نظافة الطفل الأكبر .

٢ ـ عجز الطفل عن مجاراة رفاقه في الدراسة أو اللعب .

٣ ـ احتمال غياب أو وفاة عزيز في الأسرة .

٤ ـ كون الطفل وحيداً أو أخيراً .

٥ ـ تحذير حذار أن يوصم الطفل بأنه (شخا ..) فقد تكون الصدفة لمرتين أو ثلاث ، وبعدها تتثبت كعادة .

٦ ـ وهكذا تؤدي حساسية الأم وحرصها الشديد إلى تثبيت الموضوع عند الطفل ، إن لوعة الأم المضطربة وتحدثها مع رفيقاتها أو قريباتها إلى جانب الطفل ، كل هذا يؤدي إلى مساوئ لا حد لها في الموضوع .

وإذا تمكنت العادة أدت إلى مواقف مخزية للطفل ، ووصمته بضعف الشخصية والانزواء والابتعاد ، وإذا تصورنا أن مثانته ضعيفة فقد نستنتج ـ بشكل خاطئ ـ أن عللاً جسمية موجودة فيه ، وإذا أخذ الأبوان يؤنبان الطفل ويوبخانه فإنه يتأكد عنده الشعور بالخطيئة والذنب مع الضعف . وتظل العودة إلى الطبيب ضرورية وإن كان المطلوب لم يحصل سريعاً .

٧ ـ وقد يكون أسلوب التعامل في الأسرة أحد العوامل الهامة ، فالأم التي تتشاجر مع زوجها والبيت المفعم بالصخب ، وشعور الطفل أنه عاجز عن ضبط نفسه كل هذا يدعم الموضوع . ونعود ونؤكد أنه من الخطأ الكبير القول بضعف أو ارتخاء المثانة أو الكليتين أو توهم وجود أسباب عصبية .

٨ ـ على الأبوين الامتناع كلياً عن المواقف المهينة للصغير ، وأن يتذرعا بالصبر ، لئلا تطول الفترة إلى قرب المراهقة أو بعدها . فالإذلال لا ينفع ألبتة ولا حتى الرشاوي والهدايا ، والأهم من هذا إقناع الصغير بالحسنى أنه يستطيع أن يصير تماماً كالكبار . فليدخل إلى دورة الماء حين اللزوم أو عدمه بعد كل نصف ساعة مثلاً ويجب التفاهم مع المعلم في المدرسة .. ومع الأيام فإنه سيكتسب معرفة الأوقات الضرورية وستفيده معرفة سلوكه البولي .

وحالما تنجح الأمور ويتأكد الطفل من سيطرته ، فإنه من المفيد أن يلاحظ عدم تناوله السوائل قبل النوم ، وعلى الأم أن تكتشف متى يتبول الصغير (في بدء النوم) أو (حين يستيقظ صباحاً) أو أنه يحتاج في الليل إلى من يأخذه إلى دورة الماء ... ولا بد أن نذكر بالصبر هنا والبعد عن الإهانات ، وأن نشير إلى أهمية التشجيع كلما نجحت الأمور فتكون الأوسمة على لوحة الطفل والنجوم التي تزداد خير عامل على النجاح وتمام الظفر ، فيرتاح الجميع .

الصحة النفسية واللعب

يجب ألا ننسى أن اسم الروضة كان في الأصل بستان الأطفال Jardin D'enfants ، وأنا أميل إلى هذا الاسم ، لأنه يذكّر المربين والأسر بأن ذهاب الطفل إلى الروضة ينبغي أن يكون نزهة أو أشبه بالنزهة ، وهذا يقتضي أن تكون في الروضة حديقة فيها الزهور والطيور والحيوانات الأليفة ، أو على الأقل غرفة كبيرة مهوّاة تهوية جيدة ومشرقة وترتسم على جدرانها لوحات تمثل الطيور والزهور وأنواع الحيوانات والأسماك ... والأطفال المرحين .

على أن أهم ما في الروضة هو اللعب ، فاللعب هو المبرر لوجود الروضات ، وإذا كانت الروضة سويّةً مقبولة الشروط ، كان منها خير كبير وكانت كما قلنا وسطاً طيباً يتوسط بين البيت الرخي والمدرسة الجادة .

وقد يميل البعض إلى تصور الروضة وكأنها مدرسة مصغرة

أو مدرسة للصغار ، والحق غير ذلك فهي لا تشبه المدرسة إلا في التجمّع ، أعني تجمُّع الأطفال ، وخلافاً لذلك فإن في الروضة أنساً وترويحاً وتفتحاً للقدرات ، واللعب يجمع بين الأنس والترويح والتفتح .

ومن المفيد أن نتعمق في شرح معنى اللعب ، والدافع الكامن خلفه .

يقولون : إن اللعب نشاط لمجرد النشاط ، ويختلف عن العمل في أن العمل نشاط ذو هدف ، وفي هذا القول شطط ومبالغة ، وانحراف ، لأن النشاط لمجرد النشاط يؤدي إلى العبث واللغو ، ونحن نرفض اللغو ونُعرض عنه ، فلا مجال لأن نأخذ بفكرة اللاهدف من اللعب ، وبخلاف ذلك .

فإن اللعب يحقق أهدافاً كثيرة أهمها : الأهداف الجسدية ، الأهداف العاطفية ، والأهداف التعليمية .

- الأهداف الجسدية : مضاعفة الفعالية وسهولة الأداء وتفريغ التوترات بالترويح وتقبل الصعوبات .

- الأهداف العاطفية : البهجة والمسرة ومتعة الاكتشاف .
- الأهداف التعليمية والتربوية : تغطية النفس والاستجابة للتعليم وتنمية قدرات المتعلم .

إضافة إلى هذا نجد أن الفروق بين العمل واللعب فروق وهمية ، كما نجد أن الناس الذين يتقنون أعمالهم يستمتعون بها وكأنهم يلعبون ، فالمربي الذي يتقن عمله ويهواه يجد بمجرد دخوله إلى الصف والتقائه بالأطفال متعة لا نظير لها وكأنه يلعب ، وكذلك يكون الفنان الذي يشعر منذ أن يبدأ بأداء عمله الفني بجمال الحياة وروعة الإنتاج الجمالي ، فهو يسلك سلوك اللعب .

الدافع الفطري إلى اللعب

هو الميل إلى الحركة والتدرب عليها ، ويصدق هذا على الحيوان والإنسان مع فارق ، وهو أن الحيوان المتدرب يتقن حركته بشكل سريع وخلال الصغر فقط ، فالهرة الصغيرة تلعب بكرة الصوف أو الطابة فتقفز فوقها وتنقض عليها وتتدرب

على الصيد والانقضاض على العصفور ، ولكنها تكف عن اللعب حينما تكبر ، وكذلك تفعل المهرة الصغيرة فهي تتدرب على العدو والركض فتسبق أمها ، تصعد التلال ، ثم تلحقها بتدريبات تساعدها على السباق في المستقبل ، وتلعب ما دامت صغيرة .

أما الإنسان فإنه يظل يتدرب ويتعلم ، فلا حدود لتدريباته وتعلمه ، وهذا يعني أنه يلعب طيلة حياته ، إلا أن يصيبه الوهَن أو الإعياء كما أنه يمارس ألعابه (أو تدريباته) بنواح كثيرة عضلية ، أو ذهنية ، أو ساخرة ، أو لفظية ، أو فنية ، أو إيهامية . وهكذا يكون لدى الإنسان :

١ ـ ألعاب عضلية مثل المصارعة والعدو والقفز .
٢ ـ وألعاب ذهنية مثل ممارسة الشطرنج وقريض الشعر .
٣ ـ ألعاب لفظية أو كلامية مثل المسابقات المعلوماتية ورواية النوادر .
٤ ـ ألعاب فنية مثل الرسم والنحت والموسيقا .

٥ ـ ألعاب إيهامية كالتمثيل وكتابة القصص الجادة والساخرة وتمثيلها .

وهكذا نجد أن اللعب وسيلة هامة غير محدودة عند الإنسان ، والإنسان المتقن الماهر يتابع حياته المليئة بالمسرة ، ويحس أنه لا يحيا حياته فقط بل إنه يؤدي رسالة .

ووظيفة الروضة

تتمثل في الإطلال على عالم المعرفة والتذوق والشغف بالتعلم ، وذلك بوضع الغراس والبذور .

١ ـ لتنمية حواس الأطفال وإمكانياتهم الحسية والحركية والاجتماعية ومساعدتها :

٢ ـ الفرح بالاكتشاف الذهني والعاطفي والإرادي .

٣ ـ والاستمتاع بمعرفة جمال الحياة والكون والخليقة والخالق .

٤ ـ وممارسة الصعوبات لتذليلها وتقوية الإرادة .

ونخلص من كل ما سبق إلى أن الطفل الذي يلعب يقوى

ويتدرب على المعرفة ، وينمي قدراته ، ويهيئ نفسه ليتعرف على نفسه وعلى ما حوله ، وليتجاوز نفسه وما حوله .

والطفل الذي لا يلعب طفل واهن وقد يكون مريضاً أو مستعداً لمرض من الأمراض .

ولادة اللعب وتطوره عند الأطفال

١ ـ لما كان اللعب يقوم على النشاط الذاتي لإدراك ما في العالم ، فإن من الصعب أن نتحدث عن ألعاب يقوم بها المولود ، وصحيح أن بعض الأجنة شوهدت في حالة تُفسر باللعب[١] ، إلا أن الولادة ومرور الجنين بتجربة القدوم إلى الحياة تنهك المولود وتجعله يحتاج إلى زمن حتى يستعيد حيويته ويمارس إرادته .

ومع هذا فإننا نجد بعض المواليد يسبقون غيرهم لدرجة لا تكاد تُصدَّق بهذا الصدد ، يروي (غيزيل) العالم النفسي المشهور أنه لاحظ مولوديْن موضوعين إلى جانب بعضهما ،

(١) شوهد بالتنظير جنين يبعب بجبله السري مثل ألعاب الطفلة بالحبل !..

فرأى أن أحدهما أكثر تفتحاً بشكل غريب ، بحيث راح ينظر إلى المولود بجانبه وكأنه يكتشفه ، فراح يداعب بأصبعه أنفه وكأنه يريد معرفة الطفل الآخر (الذي يمكن وصفه بأنه لا يدري شيئاً عن نفسه وعما حوله) .

٢ ـ والمولود في الشهر الثاني يلعب بشفتيه فيبتسم ابتسامة مقصودة ، بينما كان من قبل إذا ابتسم كان يبتسم بصورة غير مقصودة ، وتدل ابتسامته على سلامة تكوينه ، غير أنه في الشهر الثاني يتعلم الابتسامة الاجتماعية الهادفة إلى لفت النظر والتحبب .

٣ ـ وحين ينصرف إلى المناغاة ويمارسها فإنه يكون قد دخل عالم اللغة وبداية تعلُم الألفاظ (وقد أشرنا إلى ذلك قبلاً) .

٤ ـ وبدءاً من الشهر السابع يتحرك معظم الأطفال ويمارسون الحبو أو الزحف .

٥ ـ وبدءاً من الشهر العاشر أو الثاني عشر يبدأ الأطفال

يتعلمون المشي ، وقد يتأخر بعضهم أكثر فأكثر ، وحالما يمشي الأطفال يتوسع عالمهم ، وتغتني مدركاتهم ، ويزداد ولعهم بالتعرف إلى الأشياء واكتشاف طبيعتها ، ويحدثنا (ليشتنبرجر) عن هذه الفترة بقوله : « وإن الطفل إذ يفرح فهو يضحك ويبتهج بكل ما فيه حتى بقدميه » ، ولكنه قد يقوم بحركات تضرّ به أو بغيره ، فيصبح سلوكه أقرب إلى الأذى نتيجة التدخل في أمور لا يتوقعها أحد ، وقد تؤذي نفسه ، فيمد يده إلى قدرٍ تغلي فيه المياه ، أو يقفز إلى بركة تجعله عرضة للغرق ، وهكذا يريد أن يتعرف على الأشياء ويستوجب منا اليقظة .

٦ ـ ويبدأ في الشهر الخامس عشر بالنزول إلى الدرج مستعملاً يديه وقدميه فيمارس النزول قبل الصعود ، ويمارس تفريغ سلة الفواكه قبل تعبئتها .

٧ـ أما ألعاب الطفل اللغوية فإنه في الشهر الخامس عشر يتمكن من الجمع بين كلمتين مثل (دادا دح) بمعنى أن أخاه طيب ، أو (بابا باي) بمعنى أن أباه ذهب .

٨ ـ يبدأ في الشهر الخامس عشر ينتقل من مرحلة الطفولة الأولى فيتمكن من حمل الملعقة بالمقلوب فينثر كل ما في الصحن .

٩ ـ وفي الشهر الثامن عشر يتعلم النزول على الدرج (ممسكاً بيد أحد الكبار) ، ويبدأ القفز على قدميه الاثنتين ، ويستطيع القهقرة (والمشي إلى الخلف) ، ويمارس الرسم (الخربشة)[١] ويهتم بكتب الصور ، ويستطيع فهم واستعمال ثماني كلمات .

١٠ ـ وفي الشهر الرابع والعشرين يبدأ يستمتع باللعب مع آخرين ولكنه لا يأبه بهم ويعاملهم كأشياء ، لا كأنداد قبل الوصول إلى السنة السادسة ، وحينذاك يكون قد غادر مركزية الذات ، واكتسب الموضوعية التي تتيح له أن يعاملهم بأنهم مساوون له ، فيدخل في المدرسة الابتدائية ، ليطل على الحياة بمنظر جديد شيق (نرجو أن نتمكن بمشيئة الله من وضع حلقة خاصة به) .

(١) ومن أراد أن يتوسع لمعرفة حركات الأطفال وتطور ألعابهم ، فإن بوسعه أن يطالع في الكتاب (فن رعاية الطفل) ترجمة مايسه المدقر ، وتأليف غاسيه (منشورات دار الخير) .

نظريات اللعب

نظراً لأهمية اللعب في حياة الإنسان ، فقد تصدى الكثير من الفلاسفة وعلماء النفس إلى هذه الظاهرة وأشبعوها بالبحث ، ونشير إليها أو إلى أهمها :

١ ـ **نظرية سبنسر** : الذي يرى أن الحيوان يلعب ، لأن طاقته التي لا يصرفها بالعمل تختزن فيه إلى أن تجد في اللعب تفريغاً لها ، وهذه نظرية فيسيولوجية خالصة .

٢ ـ **نظرية الاستجمام والترويح** : وهي ترى أن في اللعب ترويحاً عن الجهد والشعور بمشقة الحياة .

٣ ـ **النظرية التلخيصية (عند استانلي هول)** : الذي يرى أن الطفل ينتقل في ألعابه منذ الصغر حتى يكبر بأدوار تماثل الأدوار التي مرت بها البشرية ، فالصغير الذي يلعب بالتسلق على الأشجار والفرار والمطاردة ، يمر بدور عصور الصيد عند البشر ، وحين يلعب بالحديقة والزراعة وتربية الحيوان يمر بدور الزراعة ، وحين يلعب بالميكانو فيركّب

البيوت والسيارات يمر بدور الصناعة ، وهذه النظرية طريفة ولكنها لا تصدق دوماً .

٤ ـ **النظرية العاطفية** : وهي تنتمي إلى فطرية الاستجمام .

٥ ـ **نظرية (كارل غروس)** : الذي يرى أن الكائن الحي الصغير يلعب بالحركات التي تساعده على القيام بأعمال الكبار كالهرة التي شاهدناها تلعب بكرة الصوف ، والمهر ابن الحصان الصغير يلعب ليتدرب على السباق .

٦ ـ **اللعب الإيهامي** : ويدخل في حركاته الخيال ، انظر إلى الطفل الذي يجعل عصاً بين ساقيه ويركض ، فإنه يفعل ذلك متخيلاً أنه يركب حصاناً ، والطريف أن العصا تصبح حصاناً بمقدار ما يرغب الطفل ، ثم تعود خشباً متى أراد (فلنذكر النزعة الإحيائية التي أشرنا إليها) قلتُ ذات يوم لطفل في الثالثة يمتطي العصا ماذا تفعل ؟ قال اركب حصاناً ، قلت له : ماذا تفعل في الحصان ليلاً ، قال : أنومه وأربطه إلى جانب

سريري ، قلت له : ألا تخاف أن يعضك وأنت نائم ؟.. قال : لا .. لا يمكن ، قلت : لماذا ؟، قال : ألا ترى أنه عصا من خشب .

والجدير بالذكر أن اللعب الإيهامي يستعمله أصحاب الطب النفسي في التخفيف من التوترات ، وهكذا ينصح هؤلاء الطفل الذي خرج معافى من المستشفى أن يلعب مع إخوته لعبة الطبيب والمرضى ، فينصحونه بأن يضع حبلاً مزدوجاً على رقبته ، قائلين له افحص أخاك فيضع طرف الحبل على صدر أخيه ويجعلونه يتصور أنه طبيب ، وبهذه اللعبة يستطيع الطفل (الذي يمر بالنقاهة) أن يصفي شعوره مما علق به من المخاوف والتوترات التي تسربت إليه من رؤية الأطباء .

اللعب والتربية

يظن الغربيون أن (روسو) هو أول من أثار الاهتمام بأفراح الأطفال وألعابهم في تربية الصغار ، لكنهم يجهلون أو لا يرغبون أن يعرفوا أن رسول الله ﷺ كان قد نصحنا فقال : « من كان عنده صبي فليتصاب له » .

أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعيد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء » .

• وتمضي الأيام فيظهر العالم النفسي الإمام الغزالي فيقول كلمته : « ولدك جوهرة نفيسة فحافظ عليها » وكانت أوربا في زمن الغزالي لا تعرف إلا العصا في تربية الصغار ، وكانت تضربهم بقسوة كي تخرج الشيطان منهم .

• وحين اتصل الغربيون بالمسلمين في الحروب الصليبية ، وبالعلوم الإسلامية التي تُرجمت إلى اللاتينية تعرف الغربيون إلى أهمية الطفل فظهر روسو .

• وفي العصور الأخيرة ظهرت المربية (مونتسوري) وقدمت الأساليب الآيلة التي تفتح الأطفال ونموهم العقلي والعملي ، وكان على رأس هذه الأساليب « دعوا الطفل يسير وحده » ، وهكذا بشرت مفكرة إيقاظ الدوافع عند الصغار من أجل أن يعلّموا أنفسهم بأنفسهم ، وأوصت بتشجيع الأطفال كي

يبحثوا وينقبوا مع بعضهم فتنمو عقولهم ودوافعهم الاجتماعية ، وهكذا أصبحت التربية تفيض من داخل الصغار ولا تُملى من الخارج .

وأتى بعد مونتسوري (كلاپاريد) واقترح في كتابه (التربية الوظيفية) أن توظف الفعاليات النفسية في خدمة الحاجات الحيوية عند الصغار .

ثم أقبل (ديوي) الذي أفاد أن التربية ليست إعداداً للحياة فقط ، بل يجب أن تكون قطعة من الحياة .

وجميع هؤلاء يعلقون على اللعب أهمية كبيرة بوصفه محرضاً للنمو أولاً ، ثم في الشعور بالشخصية ثانياً ، وفي توطيد أركان الإبداع والابتكار ثالثاً .

وحقاً فإننا إذ نذكر اللعب ، نذكر الصحة النفسية التي تقوم على النشاط والحركة ، ونذكر التخيل المبدع ، وحل مشكلات الحياة بالتأني والدقة والصبر .

ولن يفهم الحياة إلا من يستطيع اللعب بها وفيها

THE FAMILY AND THE SOCIETY
PSYCHOLOGICAL HYGIENIC

٣

Psychological Hygienic
Of the Infants of Nursery & Kindergarden
Al-Ṣiḥḥah al-Nafsīyah
li-Aṭfāl al-Ḥaḍānah wa-al-Rawḍah
by: 'Adnān al-Subay'ī

هذا الكتيب حلقة ضمن سلسلة حلقات أُخرى من أجل غرض خاص دقيق.

- لكي نحسن النظر إلى الطفولة، ونحبها بحقّ، ونرتقي بالتعامل.

- ومن أجل عالم جديد، سلمت فطرته، وتألقت صحته، ثم أشرقت الحكمة فيه.

وبعد ليس المهم أن نبحث في الأطفال وحسب، ولكن المهم أن نجعلهم أقدر على رؤية المستقبل المشرق، ليتشبثوا بالقيم الإنسانية بإصرار فيصونوها بصدق، ويؤثروها بحق، ويؤكدوا وجودها زاهياً في عالمنا القلق.

DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/

ISBN 1-57547-388-7
9 781575 473888